إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سلسلة شاعر ومختارات

١

هاشم الرفاعى

دكتور حامد طاهر

عميد كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مدخـــل

تتعالى الأصوات فى الآونة الحاضرة حول أهمية اللغة العربيـة ، وضـرورة الحفـاظ عليهـا ضـد هيمنـة اللغـات الأجنبية، وغلبة اللهجات العامية ، مع الدعوة إلـى الارتقـاء بمستواها فى الكتابة والأداء ، انطلاقاً من أن اللغـة القوميـة تعد مـن أهم عوامـل الانتمـاء الوطنـى والقومـى ، والمفتـاح الطبيعى لتراث الأمة الثقافى والحضارى ، إلى جـانب كـون اللغة العربية هى اللغة التى شرفها الله تعالى بنزول القرآن الكريم ، وسجلت فيها السنة النبوية الشريفة .

وإذا كانت القواميس ، وكتب القواعد تساعد على تعلـم اللغة ، فإن **المختارات الأدبية** من نماذج الشعر والنثر تظـل ذات أهمية كبرى فى تكوين الثروة اللغويـة بصـورة محببـة إلى النفس ، بحيث تؤدى غرضين فى وقت واحـد ، الأول : القضاء على الفجوة القائمة بين اللغة وأبنائهـا المعـاصرين ، والثانى : الارتقاء بالذوق الأدبى الذى يستطيع أن يمـيز بيـن جيد الكلام ورديئه .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد كنت دائماً مقتنعاً بأن الغربة القائمة بين اللغة وأبنائها ترجع – فى جزء كبير منها – إلى فقدان النماذج الجيدة ، والجميلة ، والمؤثرة ..

ومازلت ألاحظ أن نفور الشباب فى عصرنا من اللغة العربية لايرجع إلى صعوبة علم النحو أو استغلاق معانى بعض الألفاظ ، بقدر ما يرجع فى المقام الأول إلى مايقدم لهم من أمثلة طاردة ، وأدب ركيك المعانى والأسلوب ، مفتقد فى أغلب الأحيان إلى الصدق والعاطفة ، وفقير للغاية فى الصور والخيال .

من هنا ، كان التفكير فى **إصدار سلسلة** ، تتضمن عرضاً لعدد من أفضل شعرائنا العرب ، قدامى ومحدثين ، مع تقديم نبذة بسيطة عنهم ، وانتقاء بعض المختارات الجميلة ، بل الأجمل ، من إنتاجهم . وأعترف هنا بأن مقاييس الاختيار قد تتنوع ، وهذا أمر طبيعى ، لأنه مرتبط

بثقافة كل منا ، وبذوقه ، وبإحساسه الخاص ، لكن المهم هو تقبل القراء للمختارات ..

اخترت البدء **بهاشم الرفاعى** لعدة أسباب ، ذكرتها فى الافتتاحية ، وقد فرض منهج التعريف بالشاعر نفسه من خلال فترة طويلة من المعايشة لشعره ، قد بلغت أكثر من ثلاثين عاما . ثم تأتى المختارات وفيها حاولت أن أتخير للقارئ أجمل ماكتبه هاشم الرفاعى وأكثره – فى نفس الوقت – دلالة على شاعريته . وليس فى ذهنى على الإطلاق أن تكون المختارات بديلاً عن ديوان الشاعر ، بل على العكس ، لابد أن نحث القراء على محاولة الحصول عليه ، والاستمتاع بقراءة باقى قصائده ..

والله ولى التوفيق ،،

حامد طاهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

افتتاحية

حين تنتهى حياة شاعر فى الرابعة والعشرين ، ويكون اسمه وفنه وسمعته قد تجاوزت حدود مصر إلى سائر أنحاء الوطن العربى ، واعترف له الكبار بالسبق ، وصادق الأدباء على أصالته، يصبح هذا الشاعر "ظاهرة" تستحق التوقف عندها ، والبحث فيها ، واستعادتها كلما كان ذلك ممكنا .

ولد هاشم الرفاعى فى قرية أنشاص بمحافظة الشرقية سنة ١٩٣٥، وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، التحق بمعهد الزقازيق الدينى سنة ١٩٤٧ ، حيث حصل منه على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٥١ ، ثم الشهادة الثانوية سنة ١٩٥٦ . وفى نفس العام انتقل إلى القاهرة ليلتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وفيها قضى حوالى ثلاث سنوات ، ثم كان مقتله فى ٢ يوليو ١٩٥٩، وهنا أسدل الستار على رواية ، قيل يومها إن فصولها كلها لم تكتمل..

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لايقرأ إنسان عربى متذوق للشعر أى قصيدة لهاشم الرفاعى دون أن يشعر بالحسرة على فقدانه فى ريعان الشباب ، ويحس على الفور بأن هذا الشاعر الموهوب لو قدرت له فسحة من الأجل لكان ، وكان.. ومع ذلك فإن ماتركه هاشم الرفاعى من إنتاج شعرى يكفى لوضعه بين أعلام شعراء العصر الحديث ، بل إننى لا أغلو إذا قلت إنه يقف بثبات على الأرض التى وقف عليها شوقى وحافظ ، ويحلق فى الأجواء التى طاف بها فوزى المعلوف وأبو القاسم الشابى ، ولايقصر بحال ماعن المدى الذى بلغه كل من الفيتورى والبردونى .

لم يسعدنى الحظ بلقاء هاشم الرفاعى ، ولكنه أسعدنى بتلقى نفس دراسته الأزهرية فى المعهد الدينى ، ونفس دراسته العربية والاسلامية فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، بالإضافة إلى معرفة عدد من الشعراء الذين زاملوه وعاصروه ، وأساتذة الجامعة الذين جلس إليهم متعلما ، وتألق بينهم كشهاب أضاء لحظة ثم انطفأ..

وأخيراً نفس الطريق الشعرى الذى سلكه ، والدوائر الأدبية والثقافية التى تحرك فيها .

أعجبت كثيرا بشعر هاشم الرفاعى ، بل أحببته . والأسباب متعددة : أولها ما أحسسته فيه من صدق ، وما لمسته من بساطة . والصدق والبساطة من أهم مايميز الشعر الجيد ، والأدب الرفيع . وثانيهما ما لاحظته من تمكن واع بأساليب التراث الشعرى عند العرب ، وفى نفس الوقت ، استفادة معقولة ومقبولة من التجديد الشعرى الحديث. وثالثها: ماتتميز به كل قصيدة من قصائده الناضجة من وحدة موضوعية ، تتماسك باستخدام أسلوب القص ، وتعدد الشخصيات ، والحوار المتنوع ، ولايتردد صاحبها من الاغتراف دون خشية من اللهجة المصرية الحية ، ذات الإيحاءات القوية فى النفوس ، ورابعها أمر قد يبدو فى منتهى الغرابة ، وهو اقتصار هاشم الرفاعى على كتابة القصائد العمودية ، أو التى تتغير فيها القوافى فى مقطعات محسوبة ، دون أن يبدو على شعره الجمود ، أو التقعر ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أو الانغلاق • فهو شاعر حديث بكل معانى الكلمة ، رغم أنه يحتفظ بعباءة أجداده من الشعراء العرب القدامى •

وعلى الرغم من أن التجربة الشعرية لدى هاشم الرفاعى لم تمهلها السنوات لتصل إلى غاياتها المرجوة ، فقد ترك مجموعة من القصائد الناضجة • كما اقتحم مجال المسرحية الشعرية ، على غرار مسرحيات شوقى • وهنا نتساءل : لماذا كان هاشم الرفاعى يصر دائما على ان يجعلنا نتحسر على رحيله المبكر ؟ نحن نعلم أن شوقى قد كتب مسرحياته الشعرية الخمس فى السنوات الخمس الأخيرة من حياته ، أى أنه توج بها تاريخ شعره الغنائى الطويل ، بينما نجد هاشم الرفاعى ، وهو فى مقتبل العمر ، يبدى اهتماماً خاصاً بالمسرحية الشعرية ، وهى لديه ناضجة إلى حد كبير ؟

يدهشك فى التجربة الشعرية لدى هاشم الرفاعى شمولها الواعى لحركة الشعوب العربية فى منتصف القرن العشرين ، وهى تسعى لتنفض عن نفسها أثقال الاستعمار

الغربى ، وتخرج من ظلمة الإقطاع ، وتستعد للحركة بعد السكون ، والانطلاق بعد الركود • وهناك الكثير من قصائد هاشم الرفاعى التى تواكب مسيرة الثورة فى مصر ، والجزائر ، وفلسطين ، وتمتد إلى السودان ، والصومال ، بل وتدعو إلى نهضة إفريقيا كلها ، ثم إلى جانب ذلك، وبدون أى تعارض معه ، نجد الروح الإسلامى الصادق يسرى فى شعر هاشم الرفاعى ، بدءاً من القصائد التى كان يكتبها لينشرها فى احتفالات المولد النبوى فى قريته ، وبين أهله المحبين للتصوف ، وانطلاقاً إلى النظرة الإسلامية الأرحب التى تحث المسلمين على النهضة ، وتزودهم بالطاقة اللازمة لتجاوز أوضاعهم الراهنة •

هاشم الرفاعى شاعر مصرى ، عربى ، إسلامى • نلتقى لديه بالشخصى والمحلى والخاص ، متجاورا بدون نشاز مع الوطنى والقومى والعالمى • يصور حياة الطلاب بمرحها وآلامها ومقالبها ، ويرسم لوحات متنوعة لريف مصر الجميل ، ويتوعد مراقب المعهد الدينى الذى يتسبب فى فصله ، أو يمدح أحد كبار المسئولين حين يزور الإقليم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لكى يطالبه بتحقيق مصلحة عامة • وقد نجده يرثى زميلاً ، أو يهنىء آخر على زواجه ، كما نجده يكتب قصائد كاريكاتيرية عن ولائم الأصدقاء ، وما يحدث فيها من المفاجآت غير السارة •

ولكننا فى الوقت نفسه نلمس عاطفة حارة تجاه الوطن، حباً له ، ودفاعاً مجيدا عنه ضد الأجنبى المحتل ، أو المستبد الغاشم • كذلك نرى رايات المثل العليا ، والقيم النبيلة تخفق فى أشعار هاشم الرفاعى ، ممجدة البطولة ، والحرية ، والعفة :

أهوى الحيـــاة كريمـــة ، لاقيـد ، لا
إرهاب ، لا استخفاف بالانســـان
فإذا سقطت سقطت أحمـــل عزتـــى
يغلى دم الأحـــرار فـى شريانـــى

لقد بلغ هاشم الرفاعى فى عدد كبير من قصائده مستوى الأداء الشعرى المتكامل ، أى الذى تتوافر له كل مقومات النجاح من خلال : الجملة الشعرية الأنيقة ، والبناء الشعرى المحكم ، والرسالة الشعرية المؤثرة • ومما لاشك

فيه أن هذه المقومات ذاتها هى التى تجعل الحديث عن شعر هاشم الرفاعى أمراً صعبا ، بل أقول بصراحة : أمرا مستقلا، لأنك مع شعره لاتريد ، أو لاتحب أن تقرأ أو تسمع أى تعليق • فهو بذاته معبر، وهو بنفسه واصل إلى نفسك ، سريع الامتزاج بمشاعرك •

أمر آخر • وهو أن كل قصيدة لدى هاشم الرفاعى تمثل لوحة تستحق من القارئ أن يقف أمامها ، وحده أو فى جماعة ، وأن يعيش معها حتى يستوعبها فى تفصيلاتها وكذلك فى مجموعها • لذلك فإن أى تدخل من الناقد يعتبر تشويشاً ، إن لم يكن إفساداً لهذه العلاقة بين القصيدة والقارئ •

أشعار هاشم الرفاعى من السهل الممتنع • أى الذى قد يبدو بسيطا ، سهلاً ، يمكن الإلمام به لأول وهلة ، ولكنه عند التأمل الدقيق يثبت أن وراءه عملاً جاداً مرهقا ، وقراءة متعمقة فى التراث العربى ، القديم والحديث ، بالإضافة طبعا إلى موهبة منحها الله تعالى لصاحبه •

إهداء من شبكة الألوكة www.alu

وموهبة هاشم الرفاعى أصيلة • فقد بدأت تظهر فى وقت مبكر جداً ، حيث نجده فى سن الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، يكتب قصائد لايقوى على مثلها إلا كبار الشعراء• ومن العجيب أن القصائد خالية من كل عيوب الوزن والقافية ، كذلك فإنها متمشية مع الصحة اللغوية ، متمتعة بمزايا البلاغة العربية ، دون أن يكون صاحبها قد درس علوم النحو والصرف والعروض والبلاغة : فى الأزهر الشريف ، ثم فى دار العلوم • الشاعر إذن ناضج قبل التحاقه بالتعليم ، لذلك فإنه بمجرد أن يطلع على ماكتب فى هذه المجالات يسرع الخطى نحو الإجادة الكاملة ، ويتجه إلى مجالات من التجديد المنضبط بأصول وقواعد تظل تحفظ على الشعر العربى طابعه ، وتحافظ له على أصالته ، دون أن تخلو من المعاصرة •

من الطبيعى أن تتدرج قصائد هاشم الرفاعى بين العادى ، والمتوسط ، والمتميز • أما العادى فيشمل أشعار المرحلة الأولى ، التى كان يحاول فيها ويجرب • وقد

جمعها هو نفسه فى دواوين مخطوطة دون أن ينشرها ، أو يحاول نشرها • وهذا فى حد ذاته دليل على وعى الشاعر بقيمة إنتاجه • ولولا أن الباحثين عن إنتاجه هم الذين ألحوا على أسرته بعد رحيله حتى يحصلوا منها على أصول مخطوطاته ، لما عرفت هذه الأشعار العادية طريقها إلى القراء •

أما أشعار المرحلة المتوسطة فهى الى كتبها الشاعر فى مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى بمعهد الزقازيق الدينى• وبعضها – كما سبق القول – يحاكى قصائد شعراء العرب القدامى من أمثال أبى تمام ، والمتنبى ، كما يستطق فيما بعد كلا من حسان بن ثابت ، والخنساء ، والأعشى • والواقع أن هذا هو الطريق الطبيعى للشاعر العربى : يبدأ أولا بالدندنة على قيثارة الشعر العربى ، بصورة عفوية ، ثم يسلك طريق المحاكاة التى تعتبر نوعا من المنافسة الغريزية، حتى إذا ما استقام له عمود الشعر العربى استقل بذاته، وأصبح له قيثارته الخاصة به •

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهنا نصل إلى المرحلة المتميزة التى تضم معظم القصائد التى كتبها وهو طالب بكلية دار العلوم ، وهى البيئة الأدبية التى احتضنت موهبته ، وزودتها بالوقود اللازم لها لكى تنطلق وتحلق ٠٠ حتى عرفته المحافل الأدبية فى القاهرة ، وأصبح يدعى للإلقاء فيها ، كما حازت قصائده على جوائز الشعر من المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ثم اختير أخيراً ليمثل مصر – ضمن كوكبة من الشعراء – فى مهرجان الشعر بدمشق سنة ١٩٥٩ وهو بالطبع مازال طالباً بكلية دار العلوم ٠٠ وهناك ألقى رائعته "رسالة فى ليلة التنفيذ" فأحدثت دوياً واسعاً ، ونشرتها كبرى الجرائد السورية ، مما أكد مكانته فى مصر نفسها ٠

فى كلية دار العلوم ، نجد هاشم الرفاعى محاطاً بحب أساتذة الأدب والنقد ، وعميد الكلية الشاعر على الجندى ، ورعاية وزير التربية حينذاك : كمال الدين حسين ، الذى سوف يختاره ذات يوم ليلقى شعره أمام جمال عبد الناصر ، وهكذا يصبح شاعر قرية أنشاص مؤهلا بكفاءته وموهبته

ليصبح واحداً من أبرز الشعراء فى مصر ، وهو مازال طالباً فى كلية دار العلوم ٠

أى جناحين كانا يرتفعان عاليا بهذا الشاعر ، فيخلف وراءه عدداً كبير من زملائه ، ومن أصدقائه ، ومن الحاقدين عليه ، والمتربصين به ٠٠

لقد حاولت مراراً الاستفسار من زملاء الشاعر عن أحواله ، فلم يقنعنى أحد بإجابة ، وكان الحديث – ومازال – مقتضباً ، وغائماً ٠ وكأن هاشم الرفاعى قد كتب عليه أن تكتنفه السحب التى تحجب نور عبقريته حتى وهو فى أحضان الموت ؟

أما كيف قتل ؟ ولماذا ؟ فيكفى أن نقول إن قريته التى أحبها ، وقضى فيها طفولته هى التى دعته ، فاحتضنته ، ومن الأحضان ماقتل ٠٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خلاف بين شباب القرية على رئاسة ناديها الرياضى والثقافى ، تحول إلى مشاجرة ، والمشاجرات تقوم فى مصر وتنفض عادة دون أن تترك قتلى. ولكن هذه المشاجرة خرجت عن حدها ، وانطلقت منها طعنة خنجر أودت بحياة هاشم الرفاعى . وأدين الجانى، الذى لايهمنا معرفة اسمه ، وإن كان من المهم معرفة دوافعه .

قيل إنه الحقد الناتج عن الحسد ؟ وقيل إنهم اليساريون الذين وجدوا فى اتجاه الشاعر الدينى تعارضاً معهم ؟ ويمكن أن يقال غير هذا وذاك .. ولكن الحقيقة تظل عند مقتل الشاعر فى ريعان شبابه ، وبين توقعات الجميع له بالارتقاء إلى أعلى قمم الشعر العربى.لقد كانت الخسارة كبيرة ، والحزن عميقا .. وأقيم حفل تأبين الشاعر فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة – وهى عادة لاتفتح لأى مناسبة عادية ، وتحدث فى الحفل كبار الشخصيات ، ورثاه كبار الشعراء ، واستمع الحاضرون إلى صوته مسجلاً قصيدته العصماء " رسالة فى ليله التنفيذ" .. وانتهى الحفل، وأسدل الستار على هذا الزائر الذى لم يطل الإقامة ، على

الرغم من أنه ترك خلفه ذكريات طويلة ، ومجموعة من القصائد الشعرية ذات المستوى الرفيع .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لكى نرسم صورة لشاعر ..

لا يهمنا من سيرة حياة الشاعر إلا مايتصل بإنتاجه الشعرى . أما بقية أحداث حياته ، مهما كانت مثيرة وجذابة- فإنها من الممكن أن تتشابه مع غيرها من السير . بل إن حياة بعض الأشخاص - غير المبدعين - قد تحتوى من الإثارة والجاذبية للقراء على مايجعلها جديرة بأن تسجل كل صغيرة فيها .

وفى "حالة" الرفاعى لن نلتقى بالكثير من الأحداث ، باستثناء مقتله الذى جاء على نحو مأساوى . لكننا إذا اعتبرنا أن الشاعر ابن بيئته ، ورهين ثقافته ، أمكننا أن نبدأ فى رسم صورة هاشم الرفاعى الشعرية ابتداء من قرية (انشاص) ومايحيط بها من مظاهر ، تكاد تكون متشابهة مع غيرها من قرى الريف المصرى .. الذى تغلفه الخضرة ، وترتفع على ترعه الأشجار . فى القرية مجتمع متنوع ، لكنه متماسك . فيها العائلات الغنية وأحيانا الاقطاعات الكبرى ، كما كان الحال عليه فى أنشاص ، التى كان بها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إقطاع كبير خاص بالملك فاروق ٠٠ وفيها العائلات الفقيرة، والفقيرة جداً التى لاتكاد تجد الكفاف من الرزق ، وأبناؤها هم "الأنفار" الذين يؤجرون جهدهم باليومية ٠٠ وبالطبع يوجد الكثير من الأيام التى لايحتاجهم فيها أحد ٠٠ وبين هؤلاء وأولئك ، توجد العائلات المستورة الحال التى يكفيها دخلها ، وغالبا مايكون على رأسها شيخ من علماء الدين ، أو أرباب الطرق الصوفيه ٠

وهنا نجد قدراً من الثقافة الدينية ، والأدبية ، يساعد عليها إرسال بعض الأبناء لتلقى العلم فى الأزهر الشريف ، بعد أن يحفظوا القرآن الكريم فى كتاب القرية ٠٠

منزل هاشم الرفاعى ينتمى إلى هذه الطبقة الريفية ، المستورة ، والمثقفة ، وذات النزعة الصوفية (جده الرفاعى له مقام يزار ببلدة أنشاص) ٠ وأمثال رجالها يحظون باحترام أهل القرية جميعا لقاء مايقدمونه لهم من خدمات روحية يصحبها بالضرورة بعض الأفضال المادية ، كإقامة الولائم فى الأعياد والموالد والمناسبات الدينية ٠

يقول الشاعر فى مولد جده الرفاعى (١٩٥٥/٨/١١)

إليك سعى الأحباب والصحب ياجدُّ
يحرقهم شوق ، ويدفعهم وجدُ
نفوس هى الإيمان والطهر أقبلت
يفيض بها حب ، ويملؤها ود
وأفئدة من كل صوب تجمعت
على طاعة الرحمن يمسكها عهد
وفى الساحة الكبرى أقيمت منازل
يرى عندها الإكرام والخير والرفد
خيام لسادات رفيع عمادها
يشب إذا أمسوا لنيرانهم وَقْدُ
بها البذل للعافين والزاد والقِرَى
وليس لمن يعشو إلى ضوئها رد

كل القرى المصرية تعرف جيداً – وخاصة عندما يقام فيها مأتم للعزاء – روعة الأداء المجود للقرآن الكريم ، بصوت أحد القراء ، الذين ينتشر صيتهم فى المنطقة كلها ٠ وعند الاحتفال بالموالد ، وأهمها المولد النبوى الشريف ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تزدان الليالى بمنشدى التواشيح ، والشعراء الذين يلقون قصائدهم فى مدح الرسول ، صلى الله عليه وسلم • وقد شهد هاشم الرفاعى وهو طفل كل ذلك ، وعندما شب عن الطوق تفتحت موهبته الشعرية فشارك فى إلقاء قصائد عديدة فى احتفالات المولد النبوى التى كانت أسرته تقيمها وتحييها •

يقول فى مطلع قصيدة ألقاها بساحة الأسرة بأنشاص، فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى ١٩/٤/١٩٥٣ :

أعد ذكره فى الكون شدوا مرنما
فلله ما أحلاه ذكرا وأكرما
وطف بحديث فى فم الدهر عاطر
أضاء له وجه الورى وتبسما
فما الكأس إذ تأتيك من يد كاعب
مخضبة الأطراف معسولة اللمى
تدور بها والعين فاضت بمثلها
فلم تدر أيا قد تصبتك منهما

بأطرب من ذكر الرسول إذا جرى
وفاض فلم يترك فؤادا ولافما

وفى القرية المصرية ، تنمو الصداقة الحميمة بين الأطفال ، الذين تتشابه حياتهم فى كل شىء تقريبا • ويكتسب الصبى احترام زملائه مما تتمتع به أسرته من مكانة ، وأحياناً مما يتمتع هو به من موهبه خاصة ، ويبدو أن هاشم الرفاعى قد جمع بين الأمرين •

يقول فى قصيدة كتبها سنة ١٩٥٤ بعنوان : أيام الطفولة •

أتذكر سحر ايام الطفولة
ولهوك تحت أفنان الخميله
غداة تعب من صفو متاح
وبشر قل أن تلقى مثيله
وحولك صبية غر لدات
يشاطر بعضكم بعضا ميوله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إذا ماجَـنّ ليلكـم اجتمعتـم

وقد بسط الهناء لكـم سبيلـه

إلى أن تقطعوا فى اللهو شطـرا

من الليل الذى أرخى سدولـه

فيقصد ذاك منزلـه وحيـدا

وذاك يعود مصطحبا زميلـه

ولاتخلو حياة فتى ريفـى فـى مصـر دون التعلـق بفتـاة يأسره جمالها ، فيكتم حبها فى صدره ، لأن البوح فـى مثـل هذه البيئة لايعد حراماً فقط ، بل يعتبر أيضاً نقيصـة • فـإذا ما سأله أحد أصدقائه عن مشاعره تجاه أى فتـاة أنكـر أنـه يحب ، أو حتى يمكن أن يقع فى الحب •• ومع ذلك ، فـإن الفتـى القروى لايعدم الإحساس بالارتبـاك إذا مـرت فتاتـه ذاهبة أو عائدة من الترعة ، وعلى رأسها جرة مـاء • ومـن الطريف أنك حين تراها تنكر أنها تعرف أحداً ، ولكنهـا فـى الواقع واعية بكل عين تلحظها :

كـم فـى القـرى مـن غـادة

حسنـاء كالرشـأ الغريـرْ

النائمـات لـدى العشـى

القائمـات لـدى البكـور

الحامـلات جرارهـن

وقـد سعيـن إلـى الغديـر

لا الجسـم أضنـاه التـأود

لا ولااشتكـت النحـور

وفى كُتّاب القرية ، يلتقى صبيان القرية لحفـظ القرآن الكريم على أجزاء ، ويتمايزون فيما بينهم بمقدار مايحفَظـه كل منهم • وشيخ الكتـاب يعـاقب دائماً على عدم الحفـظ بالضرب • وهو بغيض للصبيان فى تلك الفترة من العمر ، ولكنهم ما إن يتخرجوا من تحت يديه ، وفى صدورهم كتاب الله الكريم ، حتى يتحول بغضهم لـه إلـى دعـاء واحترام ، وزيارات متكررة كلما عاد أحدهم إلى القرية فيما بعد ••

أمام الشيخ تجلس فـى خشـوع

فـلا تجديـك جلستـك الذليلـه

إهداء من شبكة الألوكة

وينفـــث إن تثاءب أو تمطـــــى
عليك ، وأنت فى فزع ، خمولـه
وحين يراك لم تحفـظ دروســـا
تداعب منكبيك عصاً غليظـــه

تلك هـى الخلفيـة الأولـى لصـورة هاشم الرفـاعى فـى أنشاص ، التى لم يغادرها إلا عندما أتم حفظ القـرآن الكريم فـى كتـاب القريـة ، وذهـب إلـى مدينـة الزقـازيق ١٩٤٧ للالتحاق بالمعهد الدينى التابع للأزهر الشريف ٠

هنا يبدأ عالم مختلف تماما ٠ فالزقازيق غير أنشاص٠ إنها مدينة كبيرة ، لايعرف كل الناس فيها بعضهـم بعضـا ٠ والطـلاب الصغـار مـن أمثـال هاشـم الرفـاعى يسكنون فـى حجرة أو فى شقة ، تصبح بالنسبة لهم هـى كـل شـىء ٠٠ فـالجيران لايختلطـون بالطلبـة ٠ وليس أمـام هـؤلاء إلا أن يتساندوا فى الغربة ، ويصبح المعهد الدينى هو المـلاذ الـذى يلجأوون إليه ، حتى ولو كان بالنسبة إليهم مصدر إزعاج ٠

ومن قصيدة جميلة يتحدث فيها عن هذه الفترة بعنـوان ليالى الزقازيق :

ربـوع قـد صحبت بهـا الشبايـا
وعشت بواكر العمـر اغترابـا
وردت حياض معهدهـا صبيـا
يـدق بكفـه للنـور بابـا
به نزلـوا المدينـة ذات يـوم
فأبصر فى شوارعهـا العجابـا
تنازعـت المشاهـد مقلتيـه
فقلب طرفه فيهـا اقتضابـا
وعاودا بعد أن تركـوه يبكـى
حزينـا لايـود لهـم إيابـا
وسار به الزمان يطيـب حينـا
وحينا يمـلأ الأقـداح صابـا
إلى أن صـار يعشقهـا فتيـا
ولذ لـه المقـام بهـا وطابـا
ومجلس فتيـة جمعـوا بليـل
فدار حديثهـم شهـداً مذابـا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دعابـــة مـــازح وضجيـــج لاه
وصوت مهرج يشـــدو غرابـــا
وكم كانـــت أحاديـــث الأمانـــى
تلذ لهم علـــى ظمـــأ شرابـــا
وكـــم أمـــل جميـــل أمّلـــوه
فما وجـــدوا المنـــى إلا ســـرابا

فـى المعهد الدينـى ، تستمر الدراسة الابتدائيـة أربـع سنوات ، والثانوية خمس سنوات ٠٠ أما المنهج فهو يتـوزع على مقررات فى النحو ، والصرف ، والقراءات ، والفقه ، والسيرة النبوية ، بالإضافة إلى الحساب والجبر والهندسـة ٠ هذا هـو القسـم الابتدائـى ٠ أمـا الثـانوى ، فتحتفـى منـه الرياضيـات ، ويجـرى التوسـع فـى النحـو والصـرف والعروض ، ويدخل الأدبَ العربـى القديم بنماذجـه القويـة ابتداء مـن امـرء القيـس وعنـتره ، ومـروراً بـابى تمـام والبحترى والمتنبى ٠٠ حتـى شعراء الأندلس كـابن هـانىء زيدون ، وأخيراً الشعر فى عصر المماليك ٠٠ ثم يضـاف

إلى المنهج علم المنطق ، الذى كان حينئذ يجرى تدريسه فى مختصرات وحواش وشروح ٠٠ أشهرها "شرح الخبيصى"٠

مثل هذا المنهج قد يكون فـى معظمـه جافاً ومرهقـا ، ولكـن الـذى يخفف منـه وجـود بعض الأسـاتذة الأزهريـيـن المتنورين الذين يحولـون هـذا الجفـاف إلـى خضـرة ، وقـد يتعهد أحدهم بعض الشباب المتطلع للمعرفة ، أو الذى يحمل فى أعماقه بذور موهبة أدبية أو شعرية كهاشم الرفـاعى ٠٠ كذلك ممـا يخفف مـن جفـاف هـذا المنهـج ظهـور صداقـات متينة، وخفيفة الظل ، يتساند بها الأزهريون من أجل التغلب على "متون" علمية وضعت منذ عهود بعيدة ، وعليهم أن يحملوا صعوداً وهبوطا صخورها على أكتافهم حتى تتفتت ، أو تتهاوى تحتها تلك الأكتاف ! يقول هاشم :

ورب لظـى لأيـام امتحـــان
لبسنـــا للشقـاء بهـــا ثيابـــا
تريك جلودنـــا والصـــيف وار
يكاد الحـر ينضجهـا التهابـــا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمر بنـــا الليالـــى حامـــلات
لهول ، إن رآه الطفـــل شابـــا
ولاننسى لنا فى اللهـــو قسطـــا
وغـــل نضالنا يدمـــى الرقابـــا
فكنت أصوغه شعـرا ضحـوكـــا
نبـدد للعنـــاء بـــه ضبابـــا
عهود من جحيم غيـــر أنـــــا
نذوق إذا قطعناهـــا الرضابـــا

وهنـا يتـألق هاشم الرفـاعى بيـن الأصدقـاء ، مسـخرا موهبته الشعرية لرصد بعض المواقف الطريفة والساخرة ، فيكتب قصيدة فى عودة فريق المعهد الرياضى مهزوماً من فريق معهد آخر ٠

كتـب هـذه القصيـدة فـى ١٩٥٣/٣/١٠ بعنـوان (الخيبـة الكبرى) ٠

يـاخيبـــة قدروهـــا بالقناطيـــر
جاءت لنا فى نهـــار كالدياجيـــر
إنى ذهبت إلى النادى فطالعنـــى
مقطب الوجه مغبر الأساريـــر
يبكى ويندب من خابوا بملعبـــه
وفى المباراة صاروا كالطراطيـر
من كل شحط أطال اللـه قامتـــه
يكاد يصلح فى جـــر الحناطيـــر
ما للغبـــى وللفتبـــول يلعبهـــا
ياليتهم علقوكـــم فـــى الطنابيـــر
أخذاكم الله قـــد جئتـــم لمعهدنـــا
بالعار يافتيـــة مثـــل المواجيـــر
فى الماتش لم تلعبوا لكن رأيتكـــم
فى البرتقـــال نزلتـم كالمناشيـــر

ويهجو أحيانا شيخ معهد الزقازيق ، الذى كان يحـارب النشاط الرياضى ، ويعتبره عبثا :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ألا فليسقط العبث الحقير
فمعهدنا له شيخ وقور
يحرم فى الرياضة ما أحلت
شعوب الأرض إن العلم نور
إذا شاء الشباب لها نشاطا
تبدى منه تصريح خطير
وحوقل واستعاذ من المعاصى
وأطلق فوق مكتبه البخور
وصاح : رجال هذا الدين ضلوا
فغير العلم بهتان وزور

وعندئذ يبدو على شعره أثر الثقافة العربية القديمة ، ونجد أصداء أبى تمام والبحترى والمتنبى والحطيئة تتجاوب لديه ، صراحة أحيانا ، وعلى استحياء فى أحيان أخرى .

وبحصول هاشم الرفاعى على شهادة إتمام الدراسة الثانوية يكون من حقه الالتحاق بإحدى كليات الأزهر الشريف ، أو كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، التى كان قد

جرى العرف على أن تجتذب المائه الأوائل من الثانوية الأزهرية ، بالإضافة إلى ضِعْف هذا العدد من الحاصلين على الثانوية العامة فى المدارس الحكومية المدنية .

ويفضل هاشم الرفاعى دار العلوم ، فيأتى إلى القاهرة، العاصمة ، الأكبر من أنشاص والزقازيق ، والمدينة التى لايمكن الإلمام بكل مافيها ، والتى يسرع الناس فيها الخطى ولا يلتفتون لريفى بسيط يقف تائها فى مفترق طرق ، أو مشدوها أمام واجهة محل ، أو دار سينما .

وكما هو الحال بالنسبة لطلاب القرية عندما يعيشون فى المدن الأكبر ، فإنهم فى القاهرة لايكادون يعرفون إلا منزلهم وكليتهم بالإضافة إلى الطريق الوحيد الذى يربط بينهما .. ولعل هذا هو الذى جعل القاهرة – كمدينة – تختفى من شعر هاشم الرفاعى .

وهنا تصبح الصداقات أكثر ضرورة . ويجلس الطالب الريفى – لأول مرة فى حياته – إلى جوار زميلة له

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى الكلية ، يستمعان معاً إلى محاضرة من أستاذ لايجرؤ أحد غالباً على سؤاله أو الاقتراب منه ٠

وفى مثل هذه البيئة ، تتبادل العيون النظرات ، باحثة ومترددة وقلقه ، إلى أن تتشابك عينان فيحدث بينهما ذلك الوهج الساحر الذى يسرى فى روحيهما ، ويصبح اللقاء بينهما حلماً من الأحلام ٠٠ وتتحول كل محاضرة تجمعهما إلى مكان وزمان يتناجيان فيه وحدهما ، حتى ولو كانت مقاعدهما متباعدة ٠

وغالباً ماتكون الفتاة أكثر جرأة من الفتى ، فتقترب منه ، وتحادثه : تطلب كشكولاً لتنقل منه محاضرة ، ثم تعيده ، ثم تطلب محاضرة أخرى ٠٠

ومن الحديث الخاطف والخجول يتشبث كل منها بشىء يفاجئ به الآخر ، لكى يخبره عن اهتمامه به ، أو مناسبة يسعى فيها مهنئا أو معزياً ٠٠ عندما حصل هاشم الرفاعى على إحدى جوائز الشعر ، بعثت إليه ثلاث طالبات من

زميلاته بالتهانى ٠٠ وبالطبع فيهن تلك الفتاه – الحبيبة ، أما الأخريان فقد فعلتا ذلك لمجرد التموية على الحياء المتأصل فى الفتاة المصرية ٠٠ أليست هذه الفتاه هى أيضا بنت الريف – المصرى !

لكن دار العلوم على عهد هاشم الرفاعى كانت تمثل بيئة ثقافية متنوعة ومتكاملة ٠ فالأساتذة يقدمون اللغة العربية وآدابها ، والثقافة الإسلامية وفروعها فى صور متألقة وأخاذة ، وبعضهم أكمل تعليمه العالى فى أرقى جامعات أوربا : لندن والسوربون ومدريد ٠ والبعض الآخر متمكن للغاية من التراث العربى والإسلامى فى أدق تفاصيله٠ وإلى جوار المحاضرات العلمية ، تعقد الندوات الأدبية والشعرية ليتبارى فيها الطلاب بتشجيع من الأساتذة والزملاء معا ، وكل يحاول أن يثبت جدارته ، ويكشف عن مواهبه ٠٠ وكانت هذه هى البيئة التى ينتظرها هاشم الرفاعى ليبرز فيها ويتألق ، بين مجموعة من شعراء دار العلوم من أمثال : أنس دواد ، محمد الفيتورى ، محمد فتوح أحمد ، اسماعيل الصيفى ، فاروق شوشه ٠٠ يرعاهم أساتذة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نقاد وشعراء من أمثال على الجندى ، وأحمد هيكل ، وعبد الحكيم بلبع ..

فى مثل هذه البيئة الأدبية يمكن للموهبة الشعرية أن تتفتح بالفعل ، وأن تجد الهواء النقى لكى تتنفس وتنمو ، وتعلن عن نفسها . ومالبث هاشم الرفاعى أن تميز بين أقرانه ، وتوالت قصائدة لتشارك مصر فى مسيرتها ، والأمة العربية فى نهضتها ، والإسلام فى صحوته الجديدة..

وفازت قصائد هاشم الرفاعى بالمركز الأول فى المسابقات الشعرية التى كان يقيمها المجلس الأعلى للفنون والآداب تحت إدارة الكاتب الكبير يوسف السباعى ، واختير هاشم الرفاعى ضمن شعراء مصر الذين يمثلونها فى مؤتمر الشعر العربى الذى عقد فى دمشق (مايو ١٩٥٩) وهناك ألقى قصيدته "رسالة فى ليلة التنفيذ" التى شدت إليه الأنظار ليس فقط فى سوريا ، وإنما أيضا فى مصر .. وعاد بعدها ليكون تحت عين كمال الدين حسين ، وزير التربية فى عهد

الثورة ، والذى قدمه ذات يوم إلى الرئيس جمال عبد الناصر ليلقى بين يديه قصيدة فى مناسبة عيد الوحدة بين مصر وسوريا .

وهكذا يتضح أن الشاعر – الذى كان مايزال طالباً فى دار العلوم – قد اتسعت خطاه على طريق الشهرة ، وأصبح يدعى ليزين المحافل الأدبية والمنتديات الثقافية .

لكن قريته أنشاص كانت دائما فى وجدانه وأصبحت مشاغلها جزءاً من حياته .. وهناك فى نادى القرية كان فريقان يتنافسان على إدارته . وفى فترة انتخابات إدارة النادى ، امتدت المنافسة وجرى تبادل الاتهامات ، ثم تطور الأمر إلى مناوشات كلامية ، فمشاجرة ، وكان من الممكن أن تتوقف الأمور عند هذا الحد .. لكن المشاجرة بين الفريقين احتمدت وأفلت منها الزمام ، فأصاب أحد خناجرها شاعر القرية المتألق ، وكانت الطعنة نافذة ، وبدا فعلا أنها قدر مكتوب .. وتوفى هاشم الرفاعى فى الثانى من يولية سنة ١٩٥٩ عن عمر لايتجاوز الرابعة والعشرين ، ودخل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى موكب الشعراء الشبان الذين اختطفهم الموت مبكراً من أمثال التونسى أبى القاسم الشابى ، واللبنانى فوزى المعلوف، والأسبانى لوركا ، والفرنسى بودلير ..

وهكذا نرى أنه لم يعد هناك مجال لكى نتحسر على موته الباكر ، وإنما علينا أن نستمتع بما خلفه لنا من إنتاج شعرى متميز .

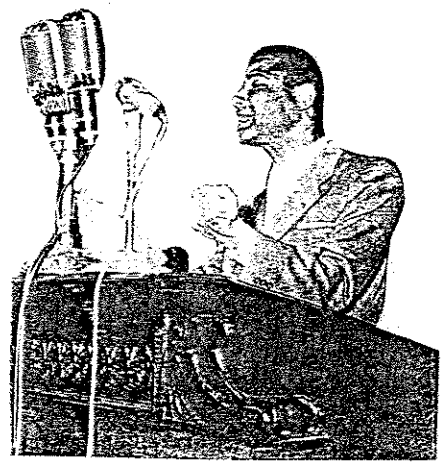

هاشم الرفاعى

١٩٣٥ ـ ١٩٥١

شاعرية هاشم الرفاعى

الشاعرية تتكون من مجموعة من العناصر التى يتوصل بها الشاعر إلى مستوى معين فى الأداء الشعرى ، الذى يميزه عن غيره من الشعراء . وهذا معناه أن لكل شاعر شاعريته الخاصة به ، كما أن لكل إنسان شخصيته المستقلة . ومع ذلك ، فإننا إذا تلمسنا عناصر الشاعرية أمكن أن نلخصها فيما يلى :

الموهبة الشعرية ، والتكنيك الشعرى ، والرسالة الشعرية

الموهبة الشعرية

معظم الناس يحبون الشعر . والكثير منهم حاول فى مطلع حياته أن يكتب شعرا ، أو ما اعتقد أنه شعر ، ولكنهم مالبثوا أن وجدوا ماكتبوه عاديا أو ضعيفا ، فانصرفوا عنه، منهمكين فى حياتهم العملية ، أو فى هوايات أخرى .. لكن القليل والقليل جداً هم الذين يصرون على الاستمرار فى كتابة الشعر ، ومحاولة الإجادة فيه ، مدفوعين بقوة داخلية ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نابعة من أعماقهم ، وبصوت خفى يتردد فى وجدانهم ، يؤكد لهم أنهم إنما خلقوا ليكونوا شعراء.. وعلى الرغم من صعوبة الطريق ، وكثرة العوائق ، فإنهم يندفعون فيه بلاهوادة ، مضحين بكل يملكون : بالجهد والوقت وجميع الآمال والملذات الأخرى من أجل إرضاء تلك الرغبة القوية فى كتابة الشعر ، والوقوف على بابه ، بل واستجداء لحظاته الخاطفة ، التى تحلق بهم فى فضاء لايعرفه سائر البشر ، ويمنحهم القدرة على الكتابة بعفوية لاتكلف فيها ، وبساطة لاتعقيد بها . ويدهشنا فى الشاعر الموهوب أننا نجلس معه، فنجد حديثه مألوفا ، وأفكاره شائعة ، ولكنه عندما يطلعنا على إحدى قصائده نجد أنه كأنما استمدها من عالم مغاير لعالمنا ، وما أشبهه بالغواص الذى يتركنا على الشط ، ليرتاد أعماق البحر مفتشا عن لؤلؤة نادرة ، ليخرجها لنا باهرة ومتألقة .

والموهبة هى التى تجعلنا نفرق بين الشعر المطبوع ، والنظم المصنوع . فهناك العديد من الأشخاص الذين يمكنهم كتابة "الشعر" فى أى وقت ، وفى أى غرض . وقد يكون

هذا الشعر موزونا مقفى ، ومتمشيا مع القواعد والمعايير المعروفة فى علم العروض ، ولكنه يظل خالياً من الروح ، أو مايمكن أن نطلق عليه "النفس الشعرى" الذى ينساب بسهولة ويسر ، وينتقل من الشاعر إلى قلوب الناس ، فيجدون له صدى ، ويحسون معه برعشة .

التكنيك الشعرى

هو الأسلوب الذى يتعود الشاعر على استخدامه فى كتابة قصائده ، بدءاً من افتتاحية قصائده والمعجم اللغوى الذى يفضله ، ومروراً بالتركيبات الشعرية للجمل والعبارات، وبأساليب الحكى ، والحوار ، وتعدد الشخصيات داخل القصيدة ، وانتهاء بخاتمتها . ومن المعروف أن لكل قصيدة معمارها الخاص بها . وهى أشبه بالبناية التى يصممها المهندس ، أو بقطعة الحلى التى ينفذها الصائغ . ينبغى أن يوضع كل جزء فى مكانه ، متماسكا بانسجام تام مع ما يجاوره ، ثم لابد للكل أن يبدو على أفضل نحو ممكن .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الواضح أن التكنيك الشعرى يتطلب القصد ، وإتقان الصنعة ، والجهد المبذول • وهى أمور قد تتناقص مع ماسبق أن ذكرناه عن الموهبة • والواقع أن التناقض ظاهرى فقط • فالموهبة هى التى تتيح اللحظة المناسبة ، وتزود الشاعر بالروح الدافع والجناح المحلق ، لكن التكنيك يظل من صميم عمله الخاص ، وجهده الشخصى • وما أكثر الشعراء الذين لم يعطوا لهذا العنصر الهام مكانه فلم تستمر موهبتهم طويلا ، وسرعان ماتلاشوا كشعراء مجيدين •

الشاعر يستطيع أن يطور باستمرار أسلوبه الشعرى ، وأن يجود أداءه تبعاً لما يطلع عليه ، أو يقتنع به من تطور فى الحركة الشعرية لعصره •• وفى لحظات ليست بالقليلة، تمد الموهبة الشعرية صاحبها ببعض الإنجازات التى تساعده على أداء عمله • فكثيرا مايجد الشاعر-أثناء كتابة القصيدة- بعض العبارات تجرى على قلمه دون قصد ، أو بعض الخيالات والصور تتشكل دون تدخل منه • وفى أحيان

أخرى ، قد يبدأ الشاعر بكتابة الجزء الأخير من القصيدة قبل أن يشرع فى كتابة مطلعها •• وهكذا فإن التبادل بين الموهبة والتكنيك الشعرى غير مقطوع ، كلما أخلص الشاعر لفنه وأعطاه كل جوارحه ، جادت عليه الموهبة بالكثير من هداياها ••

الرسالة الشعرية

لكل أديب أو عالم دوره فى تقدم الانسانية ، كما أن لكل إنسان دوره فى الحياة • والشعراء يتفاوتون فيما بينهم تبعاً للدور الذى يقوم به كل منهم ، والرسالة التى يسعى لتوصيلها إلى الناس • ومهما تحدثنا عن أهداف الأدب والشعر ، فإن هدف التغيير للأفضل •• سوف يظل هو أسمى الأهداف • لكننا نلاحظ أن بعض الشعراء يغلب على دورهم الطابع السياسى ، أو الأخلاقى ، أو الدينى ، أو العاطفى • ومنهم من يبرز لديه النقد الاجتماعى ، أو الرفض للواقع أو التمرد على الأوضاع السائدة • ولاشك أن الشاعر فى هذه المستوى لايمكن فصله عن عصره ، والبيئة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التى تحيط به ، وهذا مايجعلنا نعترف بأن الشاعر مهما حلق عاليا وبعيداً عن مجتمعه فإنه – فى نهاية الأمر – مرتبط به، مشدود إليه بالكثير من الخيوط التى لايمكنه الفكاك منها ٠

وإذا كان لهذا الارتباط بين الشاعر وبيئته بعض المزايا ، فإن له جوانب أخرى سلبية ، فقد تكون مشكلات المجتمع من النوع الذى يطغى عن العناصر الأخرى لشاعرية الشاعر ٠ ويحضرنى هنا ماشاع فى الشعر العربى من مفاخرات ومنافرات بين الشعراء ، اقتضتها ظروف عصرهم وغطت بالتالى على مواهب شعراء من أمثال جرير والفرزدق ٠٠ ونفس الأمر ينطبق ، من ناحية أخرى، على المتنبى ، الذى بدد جزءاً كبيراً من قواه الشعرية الرائعة فى مديح ورثاء من كان يستحق ، ومن لم يكن أهلاً لذلك من أبناء عصره ٠

لكن الشاعر الكبير هو الذى يستطيع أن يسيطر على أدواته بحيث يوجهها إلى نوع الرسالة التى يريد توصيلها

للناس ، سواء فى عصره أو لمن يأتى بعده ٠ وكلما اتسمت تلك الرسالة بطابع إنسانى أصيل اتسع نطاق تأثيرها ، واستمر إشعاعها لأطول فترة ممكنة ، لذلك فمن حقنا دائماً أن نتساءل – بعد قراءة كل أديب – ماذا يريد أن يقول لنا ؟

فإذا اقتربنا بعد هذه المقدمات من **شاعرية هاشم الرفاعى** ، لاحظنا على الفور أن قصائده التى كتبها فى مرحلة مبكرة من عمره ، تتميز بتلك الموهبة الشعرية التى تنساب فى سهولة ويسر ، وترتفع عن المحاولات المتعثرة لدى من يحاولون كتابة الشعر فى مطلع حياتهم ، بل إنه يسعى إلى محاكاة كبار الشعراء العرب القدامى فى قصائدهم الشهيرة ، مما يدل على إحساسه بامتلاك تلك الموهبة ٠

نقرأ له قصيدة يرثى بها والده فى ١٩٤٩/٨/٢٧ (عمره حينئذ خمسة عشر عاماً) كتبها على وزن وقافية قصيدة شهيرة لمالك بن الريب مطلعها :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أمـن المنـون وريبهـا تتوجـع
والدهـر ليس بمعتـب مـن يجـزع

يقول هاشم :

أمن المصـاب وعظمـه تتوجـع
والعيـن منـك سيولهـا لاترفـع
ياليتهـا تجـدى إذاً لرأيتـها
بحـرا عجاجـاً من عيون ينبـع
ذهب الإمام فمـا رأيـت لـرده
سبلا ، فهل تجدى الدموع وتنفـع

* *

أبتاه ، شعرى لست أملـك غيـره
ماذا عساى سوى الرثاء سأصنـع
أبتاه قد ظلمـوا فتـاك فنبّئـى
ماذنب باك قـد جفتـه الأ دمـع
ولئن تنم العين عن حـزن الفتى
فالحزن أقسى فى القلوب وأوجع

أبتـاه ، إنـا مؤمنـون وإننـا
لقوى سلطـان المنيـة نخضـع
فاذهب عليك مـن الإلـه تحيـة
مابدد الظلمـاء فجـر ساطـع
وعزاؤنا أن سوف يجمعنـا الفنـا
بك ، فالفنـاء مفـرّق ومجمّـع

صحيح أن المستوى الفنى هنا متوسط ، ولكنه بالنسبة إلى شاعر لايزيد عمره عن خمسة عشر عاما يكشف عن تمكن واعد من الأداء الشعرى العربى الأصيل ، ويشير إلى وعى بأهم سماته وعناصره . فهو يعالج الحكمه فى قوله (الحزن أقسى فى القلوب وأوجع) و(إننا لقوى سلطان المنية نخضع) و(الفناء مفرق ومجمع) ، كما أنه يستخدم أسلوباً نحوياً ، قلما يجيده إلا كبار الشعراء فى قوله :

فاذهب عليك مـن الإلـه تحيـة
مابدد الظلمـاء فجـر ساطـع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا نجد هاشم الرفاعى يخطو منذ البداية بقدم ثابتة على طريق الشعر العربى ، حتى قبل أن يتلقى عنه دراسات عميقة وموسعة فى كل من الأزهر ، ودار العلوم .

وعلى طريق حافظ إبراهيم ، شاعر النيل فى قصيدته "العُمَرية" يقول هاشم الرفاعى : (وعمره حينئذ ستة عشر عاما) فى ذكرى المولد النبوى :

أما العيون فطول الهجر يبكيها
والدمع يلمع درا فى مآقيها

. .

هذا هو الكون فى ديجور ظلمته
يحكى ذئابا وشاة نام راعيها
فذو العشيرة والأنصار ، ترهبه
كل البرية قاصيها ودانيها
يسطو على الحق ، لاقانون يمنعه
ولاشريعة يخشى بأسى قاضيها
أما الضعيف فمغبون وليس له
فى الأرض عون يقيه شر باغيها

والكل يشرب كأس الإثم فى طرب
وينثنى حين يأتى منكراً تيها
كانت مآثمهم فى عرفهم مرحا
والقتل فى شرعهم قد كان ترفيها
هذى مبادؤهم أيام دولتهم
الزور ينشرها ، والإثم يمليها
حتى أضاءت بمولود لآمنة
أرجاء مكة وانجابت دياجيها

وفى السابعة عشرة من عمره ، يكتب هاشم الرفاعى فى ذكرى المولد النبوى أيضا :

أديرا على سمعى اليراع المتقبا
ولاتمنعانى أن ألذ وأطربا

وبعد مقدمة غزلية على عادة شعراء فن المدائح النبوية ، يقول عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم :

أتى بكتاب فيه للخلق عزة
فساء قريشا ما أتاه وأغضبا

إهداء من شبكة الألوكة

عجبـــت لهـــم إذ يركنون لغيهـــم
وأكثرت ممـــا قد أتـوه التعجبـــا
وكذبه الأغـــــرار إذ قـام داعيـــا
وقد كان ذا صدق لديهم مجرَّبـــا
وكم حاولوا فى الأرض إطفاء نوره
فلا شمسه غابت ، ولاضوؤه خَبَا
يقولون : داع ينشد الملك والغنـــى
لقد كذبوا ، مارام بالدين منصبـا
ولم يبتغِ الجاه العريض لدى الورى
ولاشاء أن يحيا أميـــرا معصَّبـــا
ولكنه يدعو إلى خيـــر سَمْحـــــة
ويمحو ضلالاً أفسد الناس أَحقُبـــا

وفى سن التاسعة عشرة ، يحاكى هاشم الرفاعى أمير الشعراء أحمد شوقى ، فى قصيدته الذائعة "الهمزية" التى يمدح فيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

جيد الظبـــا والمقلـــة الحـــوراء
هذان ياقلبـــى همـــا الغرمـــاء

أما الولـيد فكـــان منقـــذ أمـــــة
وثنية ، لعبـت بهـــا الأهـــواء
جاء الضياء لمن مضوا فى غيهم
وعلـى العيون غشـاوة ســوداء
هذا النهـــار تطاحـــن وتشاجـــر
والليل كـــأس ثـــرة ونســـــاء
أما القلوب فقد تنافـــر ودهـــــا
حتى تفشـــت بينهـــا البغضـــاء
ونفوس قـــــوم إذ أراد شفاءهـــا
بهدى حكيـم دونـــه الحكمـــــاء
فأعد للأمر الجليـــــل محمـــداً
"إن العظائـــم كفؤهـا العظمـــاء"

لقد حاولت بإيراد هذه الأمثلة أن أثبت توافر الموهبة الشعرية لدى هاشم الرفاعى منذ وقت مبكر ، وأن هـذه الموهبة لم تكـن ضعيفـة ولامؤقتـه ، وإنمـا كـانت قويـة ومتمكنة، وكل ما كانت تحتاجه هو خروج صاحبها من حدود قريتـه الصغيرة ، إلى فضاء العاصمة ، وتزوده –

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالإضافه إلى قواعد العلوم العربيه بثقافة واسعه ، ومتنوعه ، ومن حسن حظ هاشم الرفاعى أن كلا الأمرين قد حدث له ، وبمجرد حدوثهما ، أخذ إنتاجه الشعرى فى التطور ، والتحديث ، وتجربة أشكال جديدة مع تمسكه فى نفس الوقت بروعة الصياغة العربية الأصيلة .

لم يكتب هاشم الرفاعى الشعر الحر ، بل إنه رفضه بكل حسم ، مخاطبا أنصاره .

أيها الهاتفون بالشعر حرا
ولكم دعوة به طنّانهْ
قد أتيتم له بنهج غريب
يفرض اليوم بينكم سلطانه
وهجر تم توافه المتنبى
وأبنتم بعلمكم نقصانه
وتشدقتموا برخرف قول
عن مفاهيمَ نمقتها الرطانه
ثم قلتم من الحياة كلاما
ومن الواقع استمد كيانه

ليس شعراً ، وإنما هو شئ
فوقه الشعر رتبة ومكانه
ذهبت عنه روعة اللحون
يرهف الدهر عندها آذانه
وخلا من أصالة وجلال
بهما أظهر الزمان افتتانه
إنه أبصر الحياة سقيما
حاملاً فى يمينه أكفانه
أيعيش الوليد والداء يمشى
بين جنبيه ناشراً سرطانه

وبعد أن يثبت قدرة الشعراء القدامى على تناول كل موضوعات الحياة فى إطار الشعر العربى التقليدى - العمودى ، يقول :

لا أنادى بأن تحاكوا زهيرا
فيه ، أو أن تقلدوا حسانه
راح عهد الوقوف بالطلل الباكى
فلا تذكروا به سكانه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جددوا ما استطعتموا فى المعانـى

وقفـوا ، لاتحطمـوا أوزانـه

ليسـت الفكـرة الجديـدة تأبـى

عرضهـا فى جزالـة ورصانـه

ألبسوهـا مـن القوافـى خلـودا

ومـن الـوزن قـوة ومتانـه

لاتحيطـوا تراثنـا بلهيـب

فى غد ، تكره العيـون دخانـه

كل نهـج أتى ليستـر عجـزا

تتقيـه ، وتـزدرى بهتانـه

رب ، إنـى علـى القديـم مقيـم

وأعـد الخـلاص منـه خيانـه

وهكذا ظن هاشم الرفاعى أنه سيقيم على القديم ، لكن التطور الذى كانت تشهده بيئته فى كل مجالات الحياة ، ومنها الشعر ، دفعته إلى بعض التجديد • ومن يدرى لو طال به العمر بعد الثلاثين أو الأربعين ، إلى أى مدى كان سيمضى ؟!

فى قصيدته "وصية لاجئ" يقول على لسانه فى المقطع الأول :

أنـا يابنـى غـدا سيطوينـى الغسـقْ

لـم يبـق مـن ظـل الحياة سـوى رمـقْ

وحطـام قلـب عـاش مشبـوب القلـق

قد أشـرق المصبـاح يومـاً واحتـرق

جفـت بـه آمالـه حتـى اختنـق

فـإذا نفضـت غبـار قبرى عن يـدكْ

ومضيـت تلتمس الطريق إلى غـدك

فاذكر وصيـة لاجـئ تحـت التـراب

سلبـوه آمـال الكهولـة والشبـاب

وعلى هذا النسق ، الذى يخرج عن إطار الالتزام بالقافية الموحدة فى سائر القصيدة ، يتحرك هاشم الرفاعى فى إطار أكثر سعة ، وتنوعاً ، يتلاءم مع هذا النوع الجديد من الشعر ، الذى يمكن أن نصفه بأنه مرحلة وسط بين الشعر التقليدى – العمودى ، والشعر الحر •

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(يتكون المقطع من تسعة أبيات • كل بيت يحتوى ثلاث تفعيلات-الأبيات الخمسة الأولى بقافية القاف، والسادس والسابع بقافية الكاف ، والثامن والتاسع بقافية الياء) •

وفى قصيدة "الجزائر الثائرة" نجد التطوير يتقدم خطوة أخرى ، فلا يكتفى هاشم الرفاعى بتغيير القوافى ، وإنما أيضا يراوح بين عدد التفعيلات :

بهواك ، بالدم فوق تربك ياجزائر
يجرى ويتبع من حشاشة كل ثائر
بشهيدك الملقى على سفح المجازر
بالسخط يغلى فى القلوب وفى الحناجر
بالرابضين على العمم
الثائرين على الظلم
سنفجر الأضواء من تلك الدياجر
وتسيل أفراح الحياة على الجزائر

(المقطع مكون من ثمانية أبيات • الأربعة الأولى بثلاث تفعيلات ، وبقافية الراء ، والخامس والسادس بتفعيلتين اثنتين فقط ، وبقافية الميم ، والسابع والثامن بثلاث تفعيلات، وبقافية الراء ، ويلاحظ أن القوافى ستتغير أكثر من ذلك فى المقاطع التالية من القصيدة) •

لقد سبق أن أشرت إلى تلك العلاقة التبادلية بين الشاعر وبيئته ، وأنه مهما حاول الفكاك منها فإنه لن يستطيع التخلص من حبالها التى تشده إليها •وأضيف هنا : إن البيئة المتطورة لاترضى إلا بشاعر متطور •

إننا الآن فى قلب التكنيك الشعرى لدى هاشم الرفاعى• وإذا أردنا التلخيص قلنا إنه حافظ على شكل القصيدة العربية فى مراحله الأولى ، ولكنه بدأ يخطو بعد ذلك على أرضه الخاصة به ، وسوف نلحظ بوضوح تقليله من استخدام لغة التراث الشعرى القديم ، وكذلك كليشيهاته المحددة •• وأصبح يغترف مباشرة من لغة الحياة المعاصرة•

إهداء من شبكة الألوكة

ولنقرأ معاً هذين النموذجين : الأول مثالاً لغلبة محاكاة القدماء ، حيث يقول فى قصيدة بعنوان (حوار) :

بعينيك ما أصمى الفؤاد وما أصبى
وحبك ما أغرى بى الأمل الجدبا
وهجرك ما أحسسته فى جوانحى
لهيبا ، وما ألقاه فى أضلعى كربا
ليالى من حولى فراغ ووحشة
وبيداء من شوق ضللت بها الصحبا

والنموذج الثانى لتعبير الشاعر عن نفسه بلغته هو :

شكرى إليك يسوقه قلبى ولا
يجدى لسانى فيه يا "فريال"
لى أمنيات ، كان فوزى واحداً
منها ، فهل تتحقق الآمال

وبعد اللغة ، يأتى معمار القصيدة ، الذى أخذ هو الآخر ينسلخ من الشكل التقليدى إلى أشكال أخرى جديدة ، تتمثل فى التهيئة المسرحية لموضوع القصيدة ، كما يبدو

أوضح أمثلتها فى "رسالة من أفريقية" التى تبدأ بوصف الغابة ومايغلفها من ضباب ، وماتهيئه من سيادة القوى على الضعيف ، ثم يأخذ بطل القصيدة فى الحديث عن نفسه وعن القوى الاستعمارية التى تترصده من ناحية ، وتتأهب لابتلاع القارة الوادعة بعد ذلك . وفى قصيدة "وصية لاجئ" يتحدث الأب إلى ابنه ، وفى "رسالة فى ليلة التنفيذ" يتحدث الابن المنتظر لحظة إعدامه إلى والده ، وفى "أغنية أم" تتحدث إلى وليدها ، مرضعة إياه الجراح مع اللبن .. وفى قصيدة "بطولة حب" يجيب بطل القصيدة على سؤال حبيبته حول السبب فى إنهاء قصة حبهما بأنه مشغول عنها بهموم الوطن..

ولاشك أن هذه الزوايا المتعددة لبناء القصيدة قد أتاح لهاشم الرفاعى فرصة الخروج من الشكل التقليدى للقصيدة العربية ، إلى أشكال متنوعة ، جاءت متمشية مع روح العصر الذى عاش فيه .. إن استخدام الشخصيات المتعددة، والحوار ، والعبارات المقتطعة من الذكريات ، إلى جانب لغة حية ، وطازجة ، وقريبة فى بعض الأحيان من اللهجة

إهداء من شبكة الألوكة

العامية ، ذات الدلالات الكامنة فى النفوس ، كل ذلك جعل قصائد هاشم الرفاعى تتميز بطابع خاص ، ويصبح من السهل التعرف عليه من خلالها • وتلك من أهم علامات الشاعر الجيد •

كذلك ينبغى ألا نغفل عن أن البيئة الثقافية التى عاش فيها هاشم الرفاعى كانت بيئة سماعية ، تهتم بالإنشاد الشعرى أكثر مما تهتم بقراءة الشعر فى دواوين •• ولاشك أن تلك البيئة تنعكس بالضرورة على شكل وموضوعات القصائد • فالشاعر حريص على أن يعجب مستمعيه ، والجمهور من جانبه متعطش إلى الجملة الشعرية المدهشة ، وأحياناً إلى "القفلة" التى يتجاوب فيها من خلال التصفيق مع الشاعر • ولذلك سوف نرى فى العديد من قصائد هاشم الرفاعى تلك الجمل الشعرية المدهشة ، وتلك "القفلات" التى تستثير أحاسيس الجمهور ، وتنتزع تصفيقهم •

لكن يبقى دائماً عنصر الصدق فى التجربة الشعرية ، الذى يتمكن من إحداث التواصل بين الشاعر وجمهوره •

وكما نعلم جيداً أن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان !

والآن : ما الرسالة الشعرية لهاشم الرفاعى ، أو بتعبير أكثر بساطة : ماذا أراد أن يقول لنا ؟

الواقع أن رسالة هاشم الرفاعى كانت انعكاساً لمرحلة وطنية ، شهدت فيها مصر سياسيا:التحول من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى ، واجتماعيا:انتهاء عصر الإقطاعيات والألقاب وبداية عصر الملكيات الصغيرة والإحساس بالمساواة (صدور قانون باطلاق لقب السيد على جميع المواطنين بلا استثناء) ، وتنمويا : محاولة بناء اقتصاد وطنى، يتم الاعتماد فيه على الذات ، تجنباً لآثار التبعية للغرب ، وقوميا:الدعوة الملتهبة إلى القومية العربية والوحدة، والرغبة فى عدم الوقوع تحت سيطرة أى من المعسكرين اللذين كانا يقتسمان العالم فى الخمسينات : المعسكر الرأسمالى ، والمعسكر الاشتراكى ، وذلك عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طريق تبنى سياسة مستقلة ، تمثلت فيما سمى حينئذ بسياسة عدم الانحياز ، التى تبلورت معالمها فى مؤتمر باندوج .

لقد كانت الطموحات كبيرة ، والآمال عريضة ، واستطاع الزعيم جمال عبد الناصر أن يلهب مشاعر أبناء الوطن العربى من المحيط إلى الخليج ضد الاستعمار وأعوانه من الإقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال ، وأن يحشد الكراهية للغرب الذى امتص ثروات الشعوب العربية على مدى عشرات السنين ، وقد آن الأوان أن يحمل عصاه وأن يرحل ..

كان إحساس كل مصرى ، وكل عربى أن أمتهم مقبلة على عصر مجيد ، تحتل فيه مكان الصدارة بين الأمم الكبرى ، التى تقود لا أن تتبع ، والتى تفرض إرادتها ، لا أن يملى عليها شىء .. وكانت أجهزة الإعلام المصرية قوية وعالية ، إلى حد أنها لم تفسح المجال لأى إعلام آخر أن يقدم للمواطنين الوجه الآخر من الصورة ..

فى هذا الجو المشحون بالتحدى ، والخارج لتوه من الإحساس بالقهر ، والمتطلع لغد واسع مشرق ، كتب هاشم الرفاعى قصائده .. حيا الثورة المصرية ، وناصر كل ثورة عربية أو إفريقية ضد المستعمر وأنظمته الفاسدة التى أقامها لتنفيذ أغراضه .. واعتنق الحرية ، ومايرتبط بها من الإحساس بالعزة والكرامة ، مذهباً لايحيد عنه .. ورجع لماضيه ، فوجد فيه صفحات مشرفة من الكفاح ، واعتمد على الإسلام مخرجاً من أزمات الواقع ، ومدخلاً طبيعياً لآفاق المستقبل .. وإذا كان هناك دهر طويل قد مضى على الأمة العربية ، وهى متخلفة عن ركب الحضارة، فلابد أن تستنهض العزائم للأخذ بوسائل النهضة، التى تقوم على دعامتين هما : العلم والإيمان ..

أين نحن اليوم من ركب الألى
وطدوا للعلم هذى الطُنُبا
سخروا الذّرّة ، بل قد أوشكوا
أن ينالوا فى السماء الكوكبا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يابنى الإسلام هبـــوا وانهضـــوا
لاتناموا ، بلغ السيـــل الزبـــى
واذكروا عهداً سمـــت أمجادكـــم
فيه حينا ، إذ سموتـــم رتبـــا
رب سيف صـــارم ذى نبـــوة
وجـــواد سابـــق يومـــاً كبـا

والخلاصـة أن الرسـالة الشـعرية لـدى هاشـم الرفـاعى يمكـن أن تتمثـل فـى : الانتمـاء الوطنـى العميـق لمصـر ، ومناصرة قضايا الحرية ، والكرامة للأمة العربية ، والإيمان الجازم بـأن الإسـلام هـو مـلاذ الأمـة ، وسبب نهضتهـا فـى عصورهـا الأولـى ، كمـا أنـه مفتاحهـا الرئيسـى للنهضـة الحالية.

* * *

هاشم الرفاعـى

١٩٣٥ ـ ١٩٥٩

إهداء من شبكة الألوكة

أيام الطفولة

أتذكـــر سحـــر أيـــام الطفولـــه
ولهـوك تحـــت أفنـــان الخميلـــه
غداة تعـــب مـــن صفو متـــاح
وبشر قـــل أن تلقـــى مثيلـــــه
وحولـــك صبيـــة غـــر لـــدات
يشاطر بعضكـــم بعضاً ميولـــه
إذا ما جـــن ليلكـــم اجتمعتـــــم
وقـــد بسط الهناء لكـــم سبيلـــــه
وحيـن يجيئكـــم يسعـــى رفيـــق
يشمـــر عنـــد رؤيتكـــم ذيولـــــه
إلى أن تقطعوا فى اللهو شطـــراً
من الليل الذى أرخـــى سدولـــه
فيقصـــــد ذاك منزلـــه وحيـــداً
وذاك يعـــود مصطحباً زميلـــه

* *

لقـــد مـــرت عهـــود ماضيـــات
رعاهـــا الله كم كانـــت جميلـــة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهـذا الشاطئ المهجـور كـم ذا
وثبـت عليه ساعـات طويلـة
أما – والشمس يطويها مغيـب –
علـوت بذلك الـوادى نخيلـه
ألست به الـذى قـد كـان يعـدو
وراء فراشـة عبـرت حقـوله
صبى يرقب الأحـداث تجـرى
عليـه ومـا روى فيها فضـوله
وكم قد طال لهوك فـى مسـاء
وعنـد العود ما أعيتـك حيلـه
أتنسى الجـدة الشمطـاء ليـلاً
تقـص حديثها فتخاف غولـه ؟
وتجلس فـى حماهـا مستكينـاً
ترى صدقاً خرافات الكهولـة

* *

وتصحو والضياء بـدا خطوطـاً
فتفرك ناهضـاً عينـاً كليلـه
ونحو المكتب الممقـوت تمضـى
لتقضـى فيـه أوقـات ثقيلـه

أمام الشيخ تجلس فى خشـوع
فـلا تجديـك جلستـك الذليلـه
وينفـث إن تثـاءب أو تمطـى
عليك وأنت فى فزع خمولـه
وحين يراك لم تحفظ دروسـاً
تداعب منكبيك عصـاً نحيلـه

* *

هـى الأيـام لا تبقـى عزيـزاً
وساعات السرور بهـا قليلـه
إذا نشـر الضيـاء عليـك نجـم
وأشرق فارتقـب يومـاً أفولـه

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ريف مصر

فـى ربـوع ظلالهـا فتانـه
يبسط السحـر فوقهـا ألوانـه
صادح الطير فى رباهـا تغنـى
وشـدا للخميلـة الفينانـه
وجـرى المـاء بالحيـاة نمـاء
طرز العشب والندى غدرانـه
ونسيـم مـؤرج قـد تهـادى
فى مجون يداعـب السنديانـه
بين تلك الربا وهـذى المغانـى
والرؤى والمفاتـن العريانـه
قد عرفت الوجود طفـلاً بريئـاً
حظـه منـه أن يمـص بنانـه
ورأيـت الدنـا بعينـى صبـى
لم يكـن بعد حامـلاً أحزانـه
يتبـع الرفقـة الصغـار للهـو
قد أعدوا فى بيـدر ميدانـه
ويجدون فى اصطيـاد فـراش
طاف بالحقل مسرعاً طيرانـه

ولكـم عربـدوا بضفـة نهـر
وتحـدى سباحهـم خلجانـه
وعلى الشاطـئ المقابـل راع
ساق للعشـب فوقـه قطعانـه
وإذا ضمـه مـن التـوت ظـل
داعـب النـاى مرسـلاً ألحانـه
لست أنسـى انطلاقهـم فى الليالـى
يوم أدنى السرور منهم دنانـه
أزعجوا النائمين بالـدرب لهـواً
صارخاً شق للفضـاء عنانـه
ويفـرون فـى قـرار خفـى
حين يأتى الخفير بالخيـزرانه
ذكريات تلـوح للعيـن خطـاً
من سنى أوهن الأسـى لمعانـه
أبعـد الدهر عهـدها وفـؤادى
لـم يـزل خالطـاً بهـا خفقانه
ووعى الريف صـورة من حياة
برة عشتهـا ، وسـل رمضانه
أمسيـات مـن الضيـاء وليـل
رف فـى جنحـه الإخاء وزانه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ساهـر عنـده تجمـع قومـي
حـول شيـخ مرتـل قرآنـه
فـي خشـوع لايسمع المرء منهـم
غير همس : سبحانه سبحانـه
الشموع التـي بأيـدى صغـار
أسعدتهم دموعهـا الهتانـه
والأساطير عن حـروب رواهـا
شاعر فى الندى أعلوا مكانـه
وطبول السحور فـي هـدأة الليـ
ـل بفطرى جرسهـا رنانـه
والتراويح تحت خفـق شعـاع
لقناديل تشتكـي الاستكانـه
والتسابيـح كـل مطلـع فجـر
قبل أن يعلـن الإمـام أذانـه
ودبيب الشيوخ نحـو المصلـي
أملوا عـند ربهـم غفرانـه
صـورة تمـلأ الغـداة خيالـي
حين أطلقـت للخيـال عنانـه

* *

وتقضـى الصبـا ومـرت ليـال
حاليـات ببشـرها مزدانـه
سار بالصبيـة الزمـان ووالـى
بأسـاه وخـيره دورانـه
فإذا الانطـلاق سجـن كفـاح
أحكـم الدهـر حولهـم قضبانـه
أسلمتهـم حياتهـم لشبـاب
قد قضوا فى نضالهـم ريعانـه
من حينن فى صوت ورقاء تشـدو
عرفوا الحب واجتلـو تحنانـه
كلمـا جاءهـم ربيـع جديـد
يشهد الزهر والهوى مهرجانـه
وعن الفجر حين يـبدو كبيـراً
ناشراً من وضـاءة طيلسانـه
عرفوا لذة ازدهـار الأمانـي
فـي قلـوب لنيلهـا ظمآنـه
وتجيش النفـوس بالأمـل الـ
ـحلو ليقضوا من الحياة لبانـه
الأنين المكتوم فى صدر كهـل
شحن العزم بالقـوى شريانـه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في سبيل البقاء يفنى ويسقى
من دموع ومن دم عيدانه
بذراع معروقة أثقلتها
يد فأس يبثها أشجانه
يتولى زروعه كصغار
وأب قد أذاب فيهم حنانه
للثرى عاش ثم فى ذات يوم
سيوارى هذا الثرى جثمانه

* *

لوحة لاتزال تنبض بالري
ـف صراعاً وعزةً وأمانه
تدفع المرء للكفاح مريرا
وتقوى بنفسه إيمانه
ولكم أضرمت شعورا أديب
عاش فيها وألهبت وجدانه
ملأت صدره أحاسيس شتى
صبغت بالأسى العميق بيانه
وسمعنا القريض من فم شاد
أنطقت بالجميل منه لسانه

فجرى كالسهول صفواً وكالـز
رع نماء وكالطباع رزانه
لفظه فى صلابة الأرض نسجاً
والمعانى فى رقة الأقحوانه

* *

أيها الهاتفون بالشعر حراً
ولكم دعوة به طنانه
قد أتيتم له بنهج غريب
يعرض اليوم بينكم سلطانه
وهجرتم توافه المتنبى
وأبنتم بعلمكم نقصانه
وتشدقتم بزخرف قول
عن مفاهيم نمقتها الرطانة
ثم قلتم من الحياة كلاماً
ومن الواقع استمد كيانه
ليس شعراً وإنما هو شىء
فوقه الشعر رتبة ومكانه
ذهبت عنه روعة للحون
يرهف الدهر عندها آذانه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وخـلا مـن أصالـة وجـلال
بهما أظهـر الزمـان افتتانـه
إنـه أبصـر الحيـاة سقيمـاً
حامـلاً فـى يمينـه أكفانـه
أيعيش الوليـد والـداء يمشـى
بين جنبيـه ناشـراً سرطانـه
إنما الشعـر ما تدفـق عذبـاً
فـى بنـاء فأحكمـوا بنيانـه
أسمعـونا إذا استطعتم قريضـاً
لا خيـالات جالـس فـى حانـه
فإذا شقـت القـيود عليكـم
فدعـوه لمـن يصـوغ جمانه
إننى ما رأيـت فى الروض يومـاً
ما ، غراباً مزاحمـاً كروانـه

* * *

أمـن الفـن ان يسـاق كـلام
سـاذج باسم نهضة شيطانـه ؟
طالعوا النور فى تـراث القدامـى
وانظروا كيف أبدعـوا تيجانـه

سجلـوا الواقـع المـراد ولكـن
جعلوا الفـن عاليـاً ترجمانـه
رسموا صـورة الحيـاة لديهـم
فـى جـلاء بريشـه فنانـه
لا أنادى بأن تحاكـوا زهيـراً
فيـه أو أن تقلـدوا حسانـه
راح عهد الوقـوف بالطلـل البا
كـى فـلا تذكـروا بـه سكانـه
جددوا ماستطعموا فـى المعانـى
وقفـوا لا تحطمـوا أوزانـه
ليست الفكـرة الجديـدة تأبـى
عرضها فى جزالة ورصانـة
ألبسوها من القوافـى خلـوداً
ومـن الـوزن قـوة ومتانـه
لاتحيطـوا تراثنـا بلهيـب
فـى غد تكره العيـون دخانـه
كل نهج أتـى ليسـتر عجـزاً
نتقيـه ونـزدرى بهتانـه
رب إنـى علـى القديـم مقيـم
وأعـد الخـلاص منه خيانـه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأزهر المكافح

[ألقاها بالزقازيق فى أكتوبر ١٩٥٥ ، وعمره عشرون عاما]

هو السؤدد الماضى تـدق بشائـره
وتغمـرنا أمجـاده ومفاخـــره

ذكرت به التاريخ يزخر نهضـــة
أضاءت لها فى الشرق غراً منابره

غداة سما بالدين فى مصر صرحه
تفيض على الأكوان علماً زواخره

ألا بارك الرحمن خالـد ركنـــه
فقد عاش ذخراً لا تعـد مآثـره

تقضت عليه الألف ينشـر هديـه
مآذنـه مرفوعـة ومنائـــره

فإن تكن الأهـرام آثـار ذاهـب
فهذا الذى لا يرهب الدهر عامره

* *

صحائف مجد ما رأى النيل مثلهـا
ولا عهدتها فى الزمـان غوابـره

بفيض الهدى والعلم والخير والمنى
تدفق ماضيه وأشرق حاضـــره

وأصبح للإسلام فى الأرض قبلـة
على بابه لايرفع الهـــام زائـره

فمعقل إرشـاد ومنبـع حكمـــة
وبحر علوم ليس يـدرك آخـره

أخو عزمة لم يعرف الدهر مثلهـا
وذو صولة فى الحق تخشى بوادره

هل الثورة الأولى سوى صنع كفـه
له من قوى الإيمان فيها ذخائـرة

أما أرق المحتل ليـلاً خطيبـــه
وأفزع الاستعمار فى مصر ثائره

وأشعلهـا حربـاً عواناً طحونـــة
يذوق لظاها جيشـه وعساكـــره

فما كان منصوراً بتأييـد حاكـــم
ولكن رب الحق بالحق ناصـــره

عهدناه فى ظهر التجـبر شوكـــة
يخاف ظباها فاسد الحكم جائـــره

فكان إذا مـا ران للظلـم غيهـب
ينازلـه أو تستقـــل دياجـــره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان شجاً فى حلق كل مضلـــل
إلى أن نأى عن ساحة الدين تاجره

سل النيل يوم البأس من كان حصنه
يلوذ به فى خطبه ٠٠ فيـــؤازره

ومن أعملت يوم الجهاد سيوفـــه
ومن هتفت عند النداء حناجـــره

ومن كان إن نام الولاة على القذى
تدق نواقيس الكفـاح مشاعـــره

ومن كان عوناً للرئيـس وصحبـه
يؤيده فـــى زحفـــه ويظاهـــره

سيخبرك النيل اليقيـن فتنثنـــى
فخوراً بصـــرح لاتفـل بواتـــره

وتعلـــم أن المجـــد نلنـــاه يافعاً
وكهلاً ، فمنـــا أهلـه وعشائـــره

أثار نفوس الحاسديـن خلـــوده
وأزعجهـم ألا تليـن أواصـــره

فكائن رأينا حوله مـــن دسائـــس
لذى غرض تمتد حقداً أظافـــره

لقد زعموا أن الجمـــود طبيعـــة
يجـــاورها أسلوبـــه وتجـــاوره

وقالوا حضارات أتتنا فلـم يعـــد
يسايرها فى ركبـــه وتسايـــره

أروني جديد العلم ياقـــوم عندكـــم
وكيف مجاليه ؟ وأين محاضـره ؟

لئن كان فيكم مـــن ألـــم ببعضـــه
فقد غاب عنكم بين ما غاب سائره

وها نحن والتاريخ ينهـض شاهدا
حماة تراث ليـس يـدرك نـادره

أليست حياة الضاد بالأزهـر الذى
تظللهـا أفيـــاؤه وستائـــرة

تدفق منه النور كالصبـح مشرقـاً
ورف رفيف الروض يختال ناضره

وبات على هدى الشريعة حارسـاً
فما هو إلا قائم الليـل ساهـــره

أذاك جمود منه أم ذاك واجـــب
إذا هو أداه استراحت ضمائـــره

وليس قديمـاً ما تجـــدد نفعـه
وليس جديداً ماتغـــر مظاهـــره

ويسطع ضوء الشمس وهى قديمـة
فهل كان ضوء الكهرباء يناظـره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سكتنا فقالوا : العى والعجز داؤهم
وأكبر مايضنى من القول فاجره
حذار من الليث الكريم ، فإنه
ليوشك أن ينأى عن الحلم صابره
أرى غمزات القول لم يقصدوا بها
سوى هدمه والزور لم يخف سافره
وما علم الجهال أن زواله
سيترك جرحاً لا يطبب غائره
بباطن هذا الأمر للدين طعنة
وإن كان لم يحمل سوى الخير ظاهره
هو الحصن للإسلام يخشاه خصمه
إذا ما هوى يوماً فماذا يحاذره
وليس يمارى فى عظيم جهاده
مدى الدهر إلا جاحد الفضل كافره
ومهما أعدت حوله من مزالق
ستعبرها راياته وشعائره
وإن ترمه بالضر يوماً يد امرئ
فذلك بيت الله والله قاهره

* *

دار العلوم تشكو

[ألقاها الشاعر بين يدى مدير جامعة القاهرة ، عند زيارته لكلية دار العلوم ، يشكو فيها قدم مبناها بحى المنيرة ، ويتحدث عن مكانه الدار ورسالتها العلمية والقومية]

مشى فأحيا لدى أبنائه الأملا
وقام ينعش زهراً للمنى ذبلا
وقاد قافلة للعلم قد سلكت
على يديه إلى أهدافها سبلا
فإن شهدتم رفيف النور حين غدا
ملء القلوب فحيوا ذلك الرجلا

* *

دار العلوم وقد أوليتها نظرا
تريد أن تشرح الأوصاب والعللا
وإن أذنت فإنى لا أفصلها
بل أذكر الآن من آلامها مثلا
هذا البناء الذى أبلى جوانبه
صرف الليالى فأضحى يشبه الطللا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الله يشهـد أنـى مـا جلسـت بـه
فوق المقاعـد إلا خائفـا وجـلا

ولا لقيت صديقـا جـاء يطلبنـى
فى المتحف الرث إلا مطرقاً خجلا

لا تصلحـوه فإنـا لا نميـل إلـى
توكيده بـل سعينـا ننشـد البـدلا

* *

من هذه الجدر العجفاء قد رفعـت
منارة أوقـدت للمـدلـج الشعـلا

وكعبة لحجيج الضـاد كـم شهدت
من سادن فى هواهـا أسهـد المقلا

كانت رسالاتهم تسمـو إلـى ملك
وأوشكوا أن يكونوا فى الورى رسلا

تراث أجدادنا نحن الألـى منعـوا
حماه فـى همـة لا تعـرف المـللا

تعـاورت لغـة الآبـاء ألسنـة
مريبـة وأثـارت حـولهـا جـدلا

واستشعرت غربة فى أهلها فمضت
ترتاد والليـل داج حولهـا نـزلا

حتىثوت ههنا فى معقـل درجـت
به لا تبتغـى عن أرضـه حـولا

ودولة الشعر فينـا اليـوم رائدهـا
ومن يجنبهـا فـى سيرهـا الزلـلا

إذا شهدت "عكاظا" حيـن تنصبـه
رأيت فى سـاحـه أفـذاذنـا الأولا

لولا "علـى" ولـولا قبلـه نفـر
لأصبح الشعرفى سمع الوارى زجلا•

فإن تجبنا إلـى ما نحـن نطلبـه
فقد عهدناك ترضى العلـم والعمـلا

* * *

(•) يقصد بعلى فى البيت قبل الأخير:الشاعر على الجندى ، وكان عميدا للكلية •

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى ذكرى الرافعى

[ألقيت فى الحفل الذى أقيم بجمعية الشباب المسلمين بالقاهرة يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٧]

من جانب الخلد فى ظل النبينا
روح أطلت على أرجاء نادينا
تصغى إلى كلمة التاريخ منصفة
جرت بها اليوم أقلام الوفيينا
وتجتلى صفحة التقدير ناصعة
من بعد أن طويت بين الورى حينا
قد فات صاحبها التكريم عن حسد
حيا فسقناه بعد الموت تأبينا

* *

الحق كالشمس لا تخفى أشعتها
إلا لتغمر عند الصبح وادينا
وإن أمال موازين الرجال هوى
عن الصواب فقد ساءت موازينا
كالوا له التهم النكراء قاتلة
وأرهفوا حوله الأحقاد سكينا

فأغلق السمع دون القوم ثم مضى
فى جانب الحق لا يبدى لهم لينا

* *

إنى لأعجب من شاد به صمم
قد أسمع الكون تغريداً أفانينا
كانت أناشيده أنغام عزتنا
ولم تزل معربات عن أمانينا
فهل ترون إذا أصغت لنا أذن
فى أى هاوية باتت أغانينا
مشت إلى الفتنة الرعناء توقظها
وبالخلاعة تغرى النشء تلقينا
من همسة الجنس قد صيغت مراهقة
ضج المجون بها معنى وتلحينا
يا مبدعا لمعانى الخير .. مشرقة
قد مات لكنه أحيا الملايينا
كم بيننا اليوم من حى كتابته
تميت كل شعور صالح فينا
قد جاء ما قلته فى الحب مكرمة
وهالة من سنى تكسو المحبينا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يكن كتفاهات تسير بنا
إلى انحلال غوى كاد يطوينا

وليس من خط أفكاراً تصيدها
من الفراش ، كمن خط "المساكينا"

تلك الروائع قد خلفتها قمماً
من الفنون جلت أمجاد ماضينا

تألقت فى ربا الإسلام معرفة
وأشرقت فى فم الدنيا عناوينا

للدين والضاد قد سطرتها عمدا
لما عرفتهما أقوى صياصينا

هذا من الذل والأغلال يعصمنا
وتلك تحفظنا روحاً وتكوينا

* *

فهل أتاك حديث القوم حين مضوا
فى مصر يستنكرون الضاد والدنيا

ضحالة من ثقافات مرددة
فى الغرب يمشى بها الإلحاد تتينا

وأنفس مرضت ، لم يشف علتها
هدى السماء ولا نصح المداوينا

تبيت يقتلها من جهلها ظمأ
والماء يجرى زلالا بين أيدينا

ونظرة فى كتاب الله واحدة
يسقى بها من معين الحق صادينا

ومحنة الضاد ما زالت تطالعنا
بها الصحافة أو تزجى دواوينا

شعر إذا ما حججنا منه قائله
فبالجمود أو الإغلاق يرمينا

لا تستبين سنا الإلهام فيه ولا
يرضى العرائس أويرضى الشياطينا

لما بدا قلق الأوزان مضطربا
فرت على خجل منه قوافينا

* *

إن اكتفينا بما سقناه تكرمة
للرافعى فقد قلت جوازينا

فكرموه بأن تحيا له مثل
عليا إذا هى حيت سوف تحيينا

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حفنى ناصف

[ألقيت فى حفل ذكرى حفنى ناصف بجمعية الشبان المسلمين بمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاته – ٢٨ فبراير ١٩٥٩]

على سمع الخلود تركت لحنا
به التاريخ فى الآفاق غنى

صحائف مشرقات من بيان
تألق فى الزمان فليس يفنى

عرفتك فى ذرا العلياء سفراً
سمت آياته لفظاً ومعنى

أكاد إذا قرأتك فى رثاء
أراك تعالج الحسرات حزنا

وألمس وحشة الدنيا إذا ما
شكوت من الحياة أسى وغبنا

وإن صارحت بالوجد القوافى
أحس بلوعة القلب المعنى

وتطربنى المرارة فى عتاب
يساق إلى الصديق وقد تجنى

وأقطع خلفك الأميال شوقاً
لأحيا فى ربوع قنا وإسنا

* *

كراسى القضاء رأت أديباً
يقر أمامه الخصمان عينا

لقد حمل الأمانة فاطمأنت
على كتفيه والعدل اطمأنا

وسار إليه ذو حق ضعيف
فلم يغمض عن الإنصاف جفنا

وذو جاه يجىء فلا نراه
يقيم لجاهه فى الحق وزنا

ولم يتملق الحكام يوماً
ولا بالحمد سبح أو تغنى

وليس إلى النفاق يجر ساقاً
لدى أحد ليدرك ما تمنى

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خـلا الميـدان إلا مـن نقيـق
بـه كتابنـا طلعـوا علينـا

فـلا الأذهـان تهضـم مـا قرأنا
ولا الآذان تقبـل ماسمعنـا

فإنـا لانـرى التجديـد هدما
لمـا عهـد الجـدود بـه إلينـا

ولكنـا نؤيـده بنـاء
ونكبـره إذا مـا كـان فنـا

وليس تطـاولاً فـى غيـر نضـج
لـه تعبـوا ونحـن بـه تعبنـا

فمـا تجديدهـم إلا انحـراف
ولـم نعـرف من المسئول منـا

* *

أحيـى فيـك ياحفنـى رعيـلا
مـن الأفـذاذ قـد عظموا لدنيا

بنـاة دعمـوا للديـن صرحـا
وأعلـوا مـن بنـاء الضـاد ركنـا

ومافتـئ الزمـان يـدور حتـى
تهـاووا بيننـا حصنـا فحصنـا

أولئـك معـشر كانـوا كرامـا
فعزوا فـى ظـلال المجد شأنـا

كذلـك كـان فـى دنيـاه حفنـى
فلو نطـق الزمـان عليـه أثنـى

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كبرياء الحب

المنـــى مـــلء قلبـــه لا الصبابـــه
وهب المجـد روحـــه وشبابـــــه

شاعـــر يقطـــع الحيـــاة انطلاقـــاً
والطمـــوح الوثاب يحدو ركابـــه

يخدع الناس إن تغـــزل يومـــــاً
مبدعا صورة الهـــوى وعذابـــه

ولقد يرســـل النسيـــب رقيقـــاً
نابضـــا بالعواطـــف الوثابـــه

فتخالونـــه سقيمـــا معنـــــى
شفه الحـــب طاغيـــا وأذابـــه

وهو لم يسلـــم العنـــان لأنثـــى
ذات سحر تريه معنـــى الكآبـــه

نفســـه حـــرة بهـــا كبريـــاء
تعصم القلب أن يضيع صوابـــه

لم يكـــن دميـــة بكـــف فتـــاة
لا ولا عبـــد بسمـــة كذابـــه

* * *

رماد الفضيلة

[قيلت فى فتاة جامعية ، لاتراعى تقاليد الزمالة الصحيحة فى الجامعة..]

لا تمـــدى لصيـــده أحبولـــــه
مـــن تئـــن ومقلـــة مكحولـــه

إنـــه ههنـــــا أخ وزميـــــل
أنـــت أخـــت له وأنـــت زميلـــه

نحن فى منهـــل العلـــوم ولسنـــا
فى مباراة فتنـــة مصقولـــــه

فعـــلام الشفـــاه ترمـــى بنـــار
خلفـــت تحتها رماد الفضيلـــه

وفتـــاك الـــذى جلســـت إليـــه
جلســـات قصيـــرة وطويلـــه

تافه فـــى الشبـــاب ، حيـــن نـــراه
لا نرى فيه ذرة مـــن رجـــوله

مـــن يظـــن المجـــون خفة ظـــل
فهـــو يبـــدى خلاعـة مرذولـه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يطلق النكتة السخيفة من فيه
ويزجي العبارة المعسوله

مظهراً نفسه بمظهر صنديد
لكي تخلعي عليه البطوله

بينما أنت تجلسين بساق
فوق ساق نراه ينشر طوله

ربما كنت تضحكين عليه
لا من النكتة العجوز الثقيله

فليكن بيننا كشمشون عزماً
ولتكوني بين النساء دليله

أنت لا شك حرة وهو حر
غير أن الحياء ليس رذيله

إن هذا الذي نرى رقصات
فوق قبر الكرامة المقتوله

فإذا شئت أن ترينا جمالاً
حسبك النفس حين تبدو جميله

* * *

يا أيها النمل ..

[قيلت فى بعض الزملاء الحاقدين]

إلى ذروة العلياء سار بى الفعل
ومثلى للعلياء بين الورى أهل

سموت بجدى وارتقت بى فضائلى
وليس أخو جد كمن طبعه الهزل

خلقت أبيا أعشق المجد يافعا
ومنى غدا يهوى طريق العلا كهل

وعشت بدفع الضيم والذل مغرما
لأبذل فيه الروح لووجب البذل

وإنى لأبدى الود للخل صادقا
إذا كان فى الإخلاص قد صدق الخل

وإن شمت عنى فيه ميلا ورغبة
تبدل منى الود وانقطع الوصل

إذا أنا لم أعرف لذى الحق حقه
فلا زاننى حسن المكارم والأصل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن قومـــاً لا عفـــا الله عنهـــم
يرون ذنوبى أن يـــديـــن بـــى النبل

وما حيلتى فيهـــم وذنبـــى لديهـــم
مقامى حميداً حيث لا ينـــزل الـــذل

تحملت منهم كل مـــا يغضب الفتى
وعند امتلاء الكيل قد يطفـــح الكيـــل

وأهون حى من يـــرى ذا عزيمـــة
ويسكت يوماً إن أســـاء لـــه نـــــذل

وإنى وقد أنضجت غيظـــاً قلوبهـــم
على حين لم يسمع لدى لهـــم قـــول

لئن شئت عاشوا فى ثيـــاب مـــذلة
ولكن لى عنهم بنيـــل العـــلا شغـــل

* *

لحا الله جهالاً تكـــاثـــر جهلهـــــم
فستال به حزن وفاض بـــه سهـــــل

إذا رمت أن تسقى من الود عندهـــم
فكن مثلهم فى الناس شيمتـــك الجهل

وإن كنت تبغى العيش فى ظل حبهم
فلا يصطفيك العمر من دونهم فضل

أولو حسد قد ساءهـــم مـــا بلغتـــه
فحقدهم وار وفى صـــدرهـــم غـــل

يريدون بين الناس ذكـــراً ورفعـــة
وظنوا بأن المجـــد إداركـــه سهـــل

ودون بلوغ المجد عـــزم وفطنـــــة
وما لهم فـــى ذاك بـــاع ولا حـــول

وكم بذلوا للنيل منـــى جهـــودهـــم
فما بلغـــوا قصداً وفاتهـــم النيـــَل

وما أنا ممن يجحد الناس فضلهـــم
ولكنه خبـــث السريرة والـــدخـــل

وكم فى عداد العاجزين مكـــابـــر
إذا جاء ضوء الصبح قال هو الليل

ومثلى لو شاءوا البلوغ لمجـــــده
لأقعدهم جبن وأعجزهـــم عقـــــل

وذى سفه منهـــم مشـــى بنميمـــة
فأهون تنكيـــل يليق بـــه القتـــــل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يذم لديك الغير حتى إذا مشى
إلى الغير لم يخطئك من كيده نصل

وآخر ذو وجهين يلقاك باسما
عليه ثياب البشررق بها الغزل

فشفت عن الأحقاد واللؤم تحتها
فمظهره حب وفي برده صل

وكم لامهم في شرهم كل مصلح
فلم يهدهم لوم ولم يثنهم عذل

فيا أيها القوم الذين بلوتهم
فأغرقني من خبث أخلاقهم سيل

لقد جاءكم مني سليمان فأدخلوا
مساكنكم في الأرض يا أيها النمل

* * *

خواطر

الجرح في الأعماق غائر والدمع في الآماق ساهر
وفؤادك المكلوم يخفق في الدجى كجناح طائر
لا تقض حزناً إنها كأس تدور بها المقادر
قدر يسيره الإله على بني الإنسان دائر
هذي الحياة .. فهل بدا لشقائها يا صاح آخر
تمضي بنا والأمها ت يلدن سكان المقابر
عيش الفتى فيها خيا ل مر في ليل بخاطر
وأرى بها صوت النوا دب مثل دقات المزاهر
وغنيها مثل الفقير توحدت لهما المصائر
كل إلى جوف التراب إلى ظلام القبر سائر
ذاق الأوائل مرها ولسوف يعرفه الأواخر
كم حامل تاج الممالك واسع الجبروت قاهر
كانت تدق لدى الغدو وفي الرواح له البشائر
ناه إذا طلع النهار وإن تراءى الليل آمر
وثب المنون عليه مق ـهوراً وليس لديه ناصر
فإذا به بين الثرى يحثو التراب عليه حافر

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفتاة خدر ليس يرـ ـو نحوها طرف لناظر
لو أبصر الناس الجمال بها لقالوا سحر ساحر
سبحان من خلق العيون وشق هاتيك المحاجر
عاشت ممنعة بسيـ ـف الأهل في ظل العشائر
حتى إذا عبث الزمان بقومها الغر الأكابر
ومضى بهم صرف الليا لى تاركا أخت الجاذر
برزت محطمة الفؤاد كسيرة والوجه سافر
والدهر أقسى ما تبد ى لاطماً خد الحرائر

* *

فإلى متى يمضي الزمان وأنت في الآثام سادر ؟
ما أنت في هذى الحيا ة سوى قليل الخلد عابر
فاعمل على كسب المثو بة إنها زاد المسافر
والمرء فان ليس يبـ ـقى خالداً إلا المآثر

* *

الكل حولك يذهبو ن وبالمنية أنت شاعر
أين الذين عرفتهم ملء المجامع والمحاضر
ذهب الأحبة وانقضى عهد لهم فينان ناضر
خلت المنازل بعدهم من أنسها وانفض سامر
لم تبق إلا لهفة لمعذب وحنين ذاكر
وكأنهم ما أسعدوك بعطفهم والربع عامر

وكأن سالف عيشهم حلم بجنح الليل عاطر
تركوك مضطرم الجوا نح هائماً والشوق ثائر
قد كان آخر عهدهم بك والزمان عليك جائر
أيام تكبو في المسير مكافحاً والجد عاثر
ولطالما صعد الجهول وباء بالخسران ماهر
وجزعت يوم رحيلهم وتفطرت منك المرائر
فيم البكاء وإن مضوا بالأمس تمضي أنت باكر

* *

والناس منهم إن طلبت ودادهم بر وفاجر
فاربأ بنفسك أن يغر ك منهم زيف المظاهر
إن الذي باع الوداد بضائع الميثاق خاسر
كم طاهر في ثوبه هو ليس في خلق بطاهر
يبدي إليك مودة والحقد تخفيه السرائر
وعليك يثني حاضراً ويلوك ذمك غير حاضر

* *

أواه من غدر الصديق وآه من موت الضمائر
فإذا ظفرت بصاحب لك في الصداقة غير غادر
فاحرص على كنز الوفا ء فإنه في الناس نادر

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بطولة حب

[ألقيت فى مهرجان الشعر بدار العلوم فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٨]

تسائلنى : من الجانى ... على قلبى ووجدانى
ومن منا الذى أغفـ ... ـل عن قصد هوى الثانى
سلوت ولست من تجـ ... ـزيك سلواناً بسلوان
وأصفيت الهوى أخرى ... فقلها : لست تهوانى

*

نسيت لقاءنا بالرو ... ض يوم زرعته حباً
وكنت تصب فى أذنى ... حديثاً ساحراً عذباً
وتهمس بالأمانى البيـ ... ـض شعراً أيقظ القلبا
فرحت أعانق الأزها ... روالأنسام والعشبا

*

وبعد هناء قلبينا ... وقصة حبنا النامى
تلاشى عطفك المشبو ... ب ، ضاعت كل أحلامى
وماتت أغنيات تر ... توي من نبع إلهامى
وما طالعتنى يوماً ... بغير قصيدك الدامى

*

وعدت إذا التقينا لا ... تجيب حنين أعماقى
وتجلس شارد النظرا ... ت فى صمت وإطراق

يطل العطف من عينيـ ... ـك ممزوجاً بإشفاق
أجبنى .. أين ميثا ... قك ؟ إنى صنت ميثاقى

*

أنا يا غادتى الحسنا ... ء أطوى فى الحشا جمرا
ظلمت هواى لم أعشق ... سواك وليس لى أخرى
ولو فكرت فى هجرى ... لعشت على سنا الذكرى
وأبكيت الوجود معى ... وفجرت الأسى شعرا

*

ولكنى رأيت القيـ ... ـد قد أدمى لى القدما
وأغلالا تلف يدى ... تعذبنى ، تسيل دما
وأفئدة تنادى الفجـ ... ـر ثم تعانق الظلما
فصغت - كما رأيت - الشعـ ... ـر ينضح لفظه ألماً

*

فإن لم تسمعى منى ... نشيداً حالم الغزل
ولم تجدى سوى أنا ... ت جرح غير مندمل
فلا تجرى وراء الوهـ ... ـم وانتصرى على الملل
وكونى مثلما عود ... تي مشبوبة الأمل

*

أيرضى الحب أن نحيا ... على هون إلى الأبد
أنبنى عشنا فى القيـ ... ـد كى يستعبدوا ولدى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فـــلا تهنـــى إذن بالحـــب بـــل شـــدى بـــه عضـــدى
طـــوت ظلماتهـــم أمســـى وأرجـــو أن أضـــىء غـــدى

* *

وعنـــد تبلـــج الإصبـــا ح ســـوف نعود للـــروض
إذا انتصـــر الســـلام بنـــا علـــى الشحنـــاء والبغـــض
ولـم نـر بعضنـا فـى قســ ـوة يعـــدو علـــى البعـــض
ويـــوم أحـــس أنـــى ســـ ـيد حقـــاً علـــى أرضـــى

* *

فأنـت تريـــن أنـى لـــم أرد شـــــراً بإنســـــان
ولكـــن سطـــوة الباغـــى وآمالـــــى وحرمانـــــى
جميعـــاً ألفـــت نغمـــاً حزينـــا ســـاد ألحانـــى
وليس الحب أن نرضـى الهوان ، فهل أنا الجانى ؟

* * *

بنت مصـر

أقسمت بالبطل الشهيـد وبغضبة الشعب المجيد
وبثـورة البركـان بركـان العـلا فى بورسعيد
وبوثبـه الأحـرار حيـن أقضهـم ذل العبيـد
فى المغرب الدامى وأرض عمان قد خلعوا القيـود
لاحطمـن الطامعيـن الجاثميـن علـى الحـدود

* *

أنا لحن حب فى الشفـاه وأبى من العرب الأباه
أنا بنـت مصـر تليـدة الأمجـاد مقبـرة الغـزاه
أنا زهـرة ليسـت تفوح شـذى على أيدى الجنـاه
وحمامـة ترجـو السـلام أثارهـا ظلـم الطغـاه
أحمـى العريـن وأستمـد العـون مـن نـور الإله

* *

هذا أخـى حمـل السلاح لما دعـا داعى الكفـاح
ووراءه فـى الصـف أختـى لا تبالـى بالرمـاح
تأسو الجراح إذا هوى فى الحرب مخضوب الجراح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأم تشحـــذ عزمنـــا بدعائهـــا ، لا بالنـــــواح
لابـد لليـل الـذى لـف العروبـة مـن صبـــاح

* *

إنـــى لأعمـــل للســـلام ولغرس أزهار الوئـــام
اللـــه يشهـــد ما بـــذرت بـــذور شر فـــى الظـــلام
لكننـــى آبـــى لأرضـــى أن تـــذل وأن تضـــام
هذى يـدى فيها الإخـاء وفى يدى الأخرى سهـام
فالـود منـى للصديـق ، وللعـدا الموت الـــزوام

* * *

فى عيد الوحدة

[ألقاها الشاعر أمام الرئيس جمال عبد الناصـــر
فى مهرجان الوحدة بين مصر وسوريا الذى أقيم
بميدان الجمهورية يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٩]

أرى مـــن أمتـــى جيـــلا
يســـوق الحـــب إكليـــلا
مشـــى فـــى ركبـــه بـــردى
وجـــاء يعـــانـــق النيـــلا
وحيـــا فـــى مواكبـــه
زعيمـــا كـــان مـــأمـــولا
ومـــا علقـــت أمـــانيـــه
بـــأكـــرم منك مســـؤولا

* *

جمـــوع أنـــت بـــاعثهـــا
وشعـــب حـــولك التفـــا
سعـــت للخلـــد فـــى واد
كـــروض بـــالمنـــى رفـــا

إهداء من شبكة الألوكة
www.alukah.net

رأيتهمـــو وقـــد وقفـــوا
وراء كلهـــــم صفـــــا
شبـــاب إن تصـــافحـــه
يصـــافـــح للعـــلا كفـــا

* *

شبـاب كـانطـــلاق الفجـــر
يـذكـــر ظلمـــة الأمـــس
ويـــدرك أنـــه بيـــديـــك
بـــدد حـــالـــك اليـــأس
يسـرك فـــى لظـى الميـــدان
أو فـــى قـاعـــة الـــدرس
وإن صحـــت بـــه لبـــى
وجـــاد لـــديـــك بالنفـــس

* *

جمعـت لنـا كيـانـاً ضـيـاع
بيـن النـاس واضـطـربـا
وكنـــا فـــى تخبطنـــا
نخـــاف الغـرب إن غضبـا
فـلـــولاك لأصبـحنـــا
فـــريســـته إذا وثبـــا

وأشهـــد أن أهـــل الأرض
قـد عـرفـوا بـك العـربـا

* *

لقـــد شيـــدتهـــا عمـــدا
غـــدا تبقـــى وبعـــد غـد
وكـــم حققـت مـن أمـــل
سنـــذكـــره إلـــى الأبـــد
فضـم العـــرب فـــى وطن
كـــريـــم العيـــش متحـــد
ومن عـاشـــوا ذئـابـــا
فليخـــافـوا صـولـة الأسـد

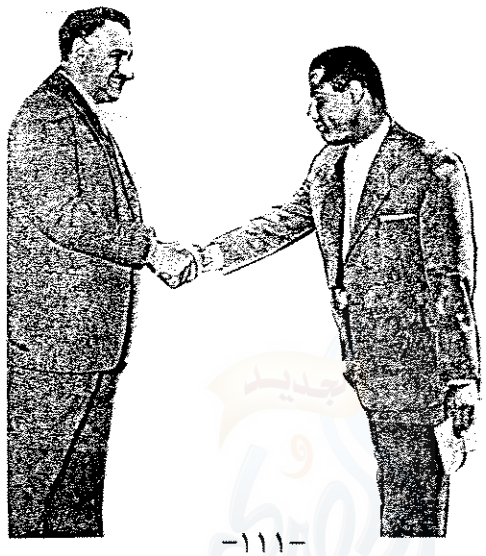

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وصية لاجئ

أنا يا بنىغدا سيطـوينـى الغسـق
لم يبق من ظل الحياة سـوى رمق
وحطام قلب عاش مشبـوب القلـق
قد أشرق المصباح يوماً واختنـق
جفت بـه آمـالـه حتـى احترق

فإذا نفضـت غبار قبرى عند يـدك
ومضيت تلتمس الطريق إلـى غدك
فاذكر وصية لاجـئ تحـت التراب
سلبوه آمـال الكهـولـة والشبـاب

* *

مأساتنـا مأسـاة نـاس أبـريـاء
وحكاية يغلى بأسطـرهـا الشقـاء
حملت إلى الآفاق رائحـة الـدماء
وجريمتى كانت محـاولـة البقـاء
أنا ما اعتديت ولا ادخرتك لاعتداء

لكـن لثـأر نبعـه دام .. هنـا
بين الضلوع جعلتـه كـل المنـى
وصبغت أحلامـى به فوق الهضاب
وظمئت عمرى .. ثم مت بلا شراب

* *

كانت لنا دار ، وكـان لنـا وطـن
ألقت بـه أيـدى الخيانـة للمحـن
وبذلت فـى إنقـاذه أغلـى ثمـن
بيدى دفنت أخـاك فيـه بـلا كفن
إلا الدماء، وما ألـم بـى الوهـن
إن كنت يوما قـد سكبـت الأدمعا
فلأننى حملت فقدهمـا .. معـا
جرحان فى جنبى : ثكل واغتـراب
ولد أضيع ، وبلدة رهـن العـذاب

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك الربوع هناك قد عرفتك طفلا
يجنى السنا والزهر حين يجوب حقلا
فاضت عليك رياضها ماء وظلا
واليوم قد دهمت لك الأحداث أهلا
ومروجك الخضراء تحنى الهام ذلا

هم أخرجوك فعد إلى من أخرجوك
فهناك أرض كان يزرعها أبوك
قد ذقت من أثمارها الشهد المذاب
فإلام تتركها لألسنة الحراب ؟

* *

إن جئتها يوما وفى يدك السلاح
وطلعت بين ربوعها مثل الصباح
فاهتف على سمع الروابى والبطاح
إنى أنا الأمس الذى ضمد الجراح
لبيك يا وطنى العزيز المستباح

أو لست تذكرنى ؟ أنا ذاك الغلام
من أحرقوا مأواه فى جنح الظلام
بلهيب نار حولها رقص الذئاب
لفت حياتى بالدخان وبالضباب

* *

لا تبكين فما بكت عين الجناه
هى قصة الطغيان من فجر الحياه
فارجع إلى بلد كنوز أبى حصاه
قد كنت أرجو أن أموت على ثراه
أمل ذوى ، ما كان لى أمل سواه

فإذا نفضت غبار قبرى عن يدك
ومضيت تلتمس الطريق إلى غدك
فاذكر وصية لاجئ تحت التراب
سلبوه آمال الكهولة والشباب

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أغنيـة أم

نم ياصغيرى إن هذا المهد يحرسه الرجاء
من مقلة سهرت لآلام تثور مـع المساء
فأصوغها لحنا مقاطعه تأجج فـى الدمـاء
أشدو بأغنيتى الحزينة ، ثم يغلبنى البكـاء
وأمد كفى للسماء لأستحث خطـا السمـاء

نـم ، لا تشاركنـى المـرارة والمحـن
فلسوف أرضعـك الجـراح مـع اللبـن
حتى أنال على يديك منى وهبت لها الحياه
يامن رأى الدنيا ، ولكن لن يرى فيها أباه

* *

ستمر أعوام طوال فى الأنين وفى العذاب
وأراك ياولدى قوى الخطو موفور الشباب
تأوى إلى أم محطمة مغضنـة الإهـاب
وهناك تسألنى كثيراً عن أبيك وكيف غاب
هذا سؤال ياصغيرى قد أعد لـه الجـواب

فلئـن حييـت فسـوف أسـرده عليـك
أو مـت فانظـر مـن يسـر بـه إليـك
فإذا عرفت جريمة الجانى وما اقترفت يداه
فانثر على قبرى وقبر أبيك شيئاً من دمـاه

* *

غدك الذى كنا نؤمل أن يصاغ من الورود
نسجوه من نار ومن ظلم تدجـج بالحديـد
فلكل مولود مكان بيـن أسـراب العبيـد
المسلمين ظهورهم للسوط فى أيدى الجنود
والزاكمين أنوفهم بالترب من طول السجود

فلقـد ولـدت لكـى تـرى إذلال أمـه
غفلـت فعاشـت فـى دياجيـر الملمـه
مات الأبى بها ولم نسمع بصوت قـد بكـاه
وسعوا إلى الشاكى الحزين فألجموا بالرعب فاه

* *

أما حكايتنا فمن لـون الحكايـات القديمـه
تلك التى يمضى بهـا التـاريخ داميـة أليمـه
الحاكم الجبار ، والبطش المسلح ، والجريمـه
وشريعة لم تعترف بالرأى أو شرف الخصومه
ماعاد فى تنورها لحضارة الإنسـان قيمـه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحـــر يعـــرف ماتريـــد المحكمه
وقضاتـه سلفـاً قـد ارتشفـــوا دمـــه
لا ترتجى دفعاً لبهتان رماه بـه الطغـــاه
المجرمون الجالسون على كراسى القضاه

حكمـوا بما شاءوا وسيق أبوك فى أصفاده
قد كان يرجو رحمة للناس من جـــلاده
ما كان- يرحمه الإله - يخون حب بلاده
لكنـــه كيـد المدل بجنـده ٠٠ وعتـــاده
المشتهى سفك الدماء على ثـرى بغـداده
كذبـــوا وقالـــوا عـــن بطولتـــه خيانـــه
وأمامنـــا التقريـــر ينطـــق بالإدانـــــه
هذا الذى قالوه عنه ٠٠ غداً يردد عن سواه
مادمت أبحث عن أبى فى البـــلاد ولا أراه

* *

هو مشهد من قصة حمراء فى أرض خصيبه
كتبت وقائعه علـى جدر مضرجـــة رهيبـــه
قد شادها الطغيـان أكفانـاً لعزتنـــا السليبـــه
مشت الكتيبة تنشر الأهوال فى إثـر الكتيبـــه
والناس فى صمت وقد عقدت لسانهم المصيبه

حتـــى صـــدى الهمســـات غشـــاه الوهـن
لاتنطقـــوا ، إن الجـــدار لـــــه أذن
وتخاذلوا ، والظالمون نعالهم فوق الجباه
كشياه جزار ، وهل تستنكر الذبح الشياه ؟

* *

لاتصغ ياولـدى إلـــى ما لفقـــوه ورددوه
من أنهم قاموا إلى الوطن الذليل فحـرروه
لو كان حقاً ذاك ما جاروا عليـــه وكبلـــوه
ولمارموا بالحر فى كهف العذاب ليقتلـــوه
ولما مشوا للحق فى وهج السلاح فأخرسوه
هـــذا الـــذى كتبـــوه مسمـــوم المـــــذاق
لـــم يبـــق مسموعاً ســـوى صـــوت النفاق
صوت الذين يقدسون الفرد من دون الإله
ويسبحون بحمده ويقدمون لـــه الصـــلاه

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لاترحم الجانى إذا ظفرت به يومـــاً يـداك
فهو الذى جلب الشقاء لنا ، ولم يرحم أبـــاك
كم كان يهوى أن يعيش لكى يظلل فى حماك
فاطلب عـــدوك لايفتك ترح فؤاداً قد رعـاك
هذى منـاى وأمنيـات أبيك فاجعلها منـــاك

فإذا بطشـــت بـــه فـــذاك هـــو الثمـــن
ثمـــن الجراحـــات المشوبـــة باللبـــن
وهناك أدرك ياصغيرى ما وهبت له الحياه
وأقول هذا ابنى ، ولم ير فى طفولته أبـاه

* * *

الجزائر الثائرة

[ألقيت فى حفـل نادى الطلبـة الشرقييـن بالقاهـرة لتأييد كفاح الجزائريـن ، يوم ٢٨ سبتمبـر ١٩٥٨ ، ونالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب]

بهـواك ، بالـدم فـوق تربك ياجزائـر
يجرى وينبع مـــن حشاشه كـــل ثائـــر
بشهيدك الملقى على سفـح المجـــازر
بالسخط يغلى فى القلوب وفى الحناجر
بالرابضيـــن علـــى القمـــم
الثائريـــن علـــى الظلـــم
سنفجر الأضواء فى تلـك الدياجـــر
وتسيـل أفـراح الحيـاة علـى المقابر

* *

لن نستكيـن لبطـش جـزارى فرنســا
لن تعرف الآمال فـى الأضـلاع يأســا
والصبح نبذره علـــى الآكـام بأســا
والحتف بين الصخر لانألـوه غرســا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى تعـــود ذرى الهضـــاب
حمـــراء .. تنبت بالرقـــاب
ونرى الحصى يطفو على أشلاء غادر
جاءت لتلقى الموت ، موعده الجزائر

* *

السفح متقد الجوانب بالرصاص
فيه الدم المسفوح يصرخ بالقصاص
كمعالم حمراء فى طرق الخلاص
والموت فى كهف يحدق من خصاص

يده تمـــزق قنبلـــه
فـــوق الحشـــود المقبلـــه
ويخلف الطرقات مخضوب الأظافر
يمشى على هامات أعداء الجزائر

* *

هذا المدل ببأسه فوق التلال
ساغت على فمه مرارة الاحتلال
علقت بجبهته انطباعات النعال
من وطأة الألمان من بأس الرجال

باريس تحنى صاغره
رأس المجون الداعره
وترن فى أعناقها أغلال قاهر
تلك التى تعدو على شعب الجزائر

* *

القرية الملقاة فى أحضان غاب
كانت تطوف بها أغاريد الشباب
ما راعها إلا طوابير الذئاب
مجنونة الأظفار تحطم كل باب

وتضيع خلف القافلة
شمس السلام الآفلة
وعلى الثرى غصن من الزيتون ناضر
سقطت حمامته به فوق الجزائر

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رسالة من إفريقية

[على لسان جندى غربى لحبيبته ..]

الغابة السمراء من حولى يغلفها الضبـــاب
تهب السيادة للقوى ومـن له ظفـر ونـــاب
وأنا وراء الغيل تطلبنى الأسنة والحـــراب
مترقب للهول ، يرعش فى يدى هذا الكتاب
فمـــــن البقـــــاع النائيـــــــــه
خلـــف السهـــــول الداميـــــة
أزجى إليك الشوق دفاقاً وأبعـث بالحنيـــن
متمنياً أن يرجع الماضى الجميل أتذكرين ؟

* *

كانت لنا دنيا تجملهـــا الوداعة والسكينـــة
الريف والمرعى النضير وربوة الحب الأمينة
وسرورنا الوثاب فى يوم الذهاب إلى المدينـــة
والآن حيث خناجر الثوار تلمـع بالضغينـــه

أحيـــــا لتقتيـــــل الشيـــــوخ
فـــى كـــل زاويـــة وكـــــوخ
ويداى تغمس كل يوم فى دم المستضعفين
الثائرين على القيود وسطوة المتجبريـــن

* *

ومع المساء تزلزل الأحراش دقات الطبـول
وترن أنغام الدمار على الروابى والسهـــول
ومراجل الأحقاد تغلى فى المراعى والحقول
وأمام حشد الزاحفين تفر أسراب الوعـــول
حتـــى إذا صـــرخ .. النذيـــــر
ودنـــوا مـــن الســـور الكبيـــر
جنت بنادقنا ، وخاضوا نارها متقحميـن
فإذا النصال من الشمال تلفنا ومن اليمين

* *

اليوم كنت مع الجنود أسير فى المستعمره
شاكى السلاح وكل شبر تحت رجلى مقبره
فتدفقوا من جوف أكـواخ هـناك مبعثـره
طلعوا علينا فى مناجلهم وكانـــت مجزره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دوى بهـــا صـــوت الرصـــاص
وتعـــذرت سبـــل الخـــلاص
وودت لو ظفـروا بقائدى الشهم الأميـن
ذاك الذى ألف التثاؤب خلف مكتبه الحصين

* *

ورجعت محموم الفؤاد وقد تأجل مصرعـى
وذراعى الدامى تجلـد ثم نـاء بمدفعـى
وفقدت فى الميدان صورتك التى كانت معى
وفقدت إحساساً جميلاً كـان يمـلأ أضلعـى
أحسست أنـى صـرت وحشـا
أو لا أقصـر عنـه بطشـا
والفرق أن الذئب لا يودى بذئب فى كميـن
وأنا .. أنا الإنسان أقتل إخوتى فى كل حين

* *

ويسيل فيض الذكريات إذا جلسنـا للسمـر
هذا يحدثنـا عـن العشـاق فـى ضوء القمـر
وسواه يسخر من أسى الدنيا وأطماع الدنيا البشر
وأنا أحـن إلـى لياليـنا وماقبـل السفـر

وتدفـق الأمـل الحبيـب
فـى نضـرة الـوادى الخصيـب
وتدور عينى تسأل الأصحاب فى صمت حزين
عن غاية جئنا لندركهـا قسـاة معتديـن

* *

أو ليس يكفينا لكى نحيا نتـاج المزرعـه
حتى أصب على أخى سوط العذاب لأخضعه
ويقض حينا مضجعى وأقض حينـا مضجعه
وأعيش مغترباً هنا بين الرماح المشرعـه
يأتـى الطعـام إلـى فمـى
مـراً تلـوث بالـدم
وأصوغ من آلام قوم جنـة للمترفيـن
الحالمين ، وثورة البركان تهدر من سنين

* *

فإلى متى يستعذبـون البغى فى ليـل الجـراح
قولى لهم : لاتغمضوا الأبصار عن ضوء الصباح
لا توصـدوا الآذان قـد دوت أناشيـد الكفاح
لن نسكـت الصـوت القـوى بما لدينـا من سلاح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنـــا إذا عـــــاد الجنـــــود
ساعـــود ، أرجـــو أن أعـــــود
ولربما تأتيـك أنبـاء عـن المتمردين
من يقرأون ويسمعون : "الموت للمستعمرين"

* * *

دماء فى السودان

[كان من المقرر أن يفتتح أول برلمـان سـودانى
فى أول مارس ١٩٥٤ – ولكن مذبحة دامية دبرها
الاستعمار وأعوانه لتحدث فى ذلك اليوم]

كفى فتنة فليغمـد السيف صاحبـه
فإن أخاه اليوم من هـو ضاربـه
متى كان للإنسـان مـن أهـل داره
عدو لدود بالسيـوف يواثبـه ؟ !
أيصرع فينا البعض بعضـا كأننـا
فقدنا عدوا فى البـلاد نحاربـه
وتنتظم الأهلين حرب ، فكـم بهـا
تهاوى قتيل ساكن العرق ناضبـه

* *

دهتنا الليالـى الحالكـات بغاصـب
دسائسـه ما تنقضـى ومصائبـه
إذا جمع الوادى ائتـلاف ووحـدة
مشت لاشتعال النار فيـه ثعالبـه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ألا سائل الخرطوم من ذا أثارهـــا
فسال الدم المهراق وانهل ساكبـه

رمتها سيوف أرهف المكـر نصلها
لتردى بكـف المرء فيهـا أقاربـه

فكم من صريـع بالدمـاء مجلـــل
طواه الردى لما رمتـه معاطبـه

لهـا اللـه مـن مكلـومة طلعوا بهـا
بقاطع سيف ليس تنبـو مضاربـه

وصبحهـــا بالمشرفيـة والقنـا
أخـو حسـد بـاغ تدب عقاربـه

أثـار بيـوم الحفـل مذبحـــة إذا
رآها وليد المهد شابـت ذوائبـه

فما راعها والبشـر فى مهرجانهـا
تسيـر بأرجـاء البـلاد مواكبـه

سوى الهول من جيش الرعـاع يلفها
بأيمانـه أرماحـه وقواضبـه

ومازال يسقى أهلهـا حامـل الردى
فيشرب كأس الموت من هو شاربه

إلى أن تراءى الليل أسـوان قاتمـا
كأن حـداد الثاكـلات غياهبـه

أرى ذلك المحـتل أشعـل نارهـا
وأن يـد (الأعوان) فيهـا مخالبـه

وبات لها (الموتـور) يذكـى أوارها
على الحقد ، إذ ضاقت عليه مذاهبه

صنيعة الاستعمـار ، ما أنت بالذى
علـى ذلك الجرم الشنيع نعاتبـه

(شببت) لنا نـاراً تلظـى وفتنـة
لها الظفر لاينفك فى العنـق ناشبـه

ومازلـت للمحتـل حتـى تحققـت
بحد الظبـى أطماعـه ومآربـه

زحفت على الخرطـوم ، بالله نبنى
أ كان بها (غوردون) جئت تحاسبه

لعل خداع القـوم أنساك نبشهـم
لقبر أب حـر تسامـت مراتبـه

أبوك فتى الإقدام والعزم من إلـى
سماء العلا والمجد سارت ركائبـه

أولئك- تـدرى أنهـم بعـد موته -
قد امتهنوا قبـراً سقتـه سحائبـه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبات هناك الرأس رأس أبيك فى
متاحفهم بالذم يرميه عائبه
فإن تك يوماً حامل السيف فليكن
من القوم هذا الثأر ما أنت طالبه

* *

ذكرت أباك القرم حين انبرى لهم
وحين دهتهم فى البلاد كتائبه
وما كان من مجد له بالغ الذرى
تليد ، فإن السيف بالدم كاتبه
ظننّاك تمضى فى تتبع خطوه
ولكنه مجد نأى عنك ذاهبه
وكنت على الأهلين حرباً طحونة
ومصدر شر ليس يؤمن جانبه
تحالف أعداء وتقصى عشيرة
إذاً قد تولى عنك فى الفكر ثاقبه
ركبت لهذا الأمر أخطر مركب
على أنه لم تخف عنك عواقبه
رأى فيك الاستعمار روحاً ضعيفة
تعاونه حتى تتم رغائبه

فأصبحت للمحتل كفا وساعداً
لينعب فينا بالمكيدة ناعبه

* *

ألا إن الاستعمار قد كان باغياً
علينا ، وإن الحق لا شك غالبه
وكل الذى آوى إليه نعده
عدوا لنا بين البلاد نجائبه
وسوف يرى الشعب الذى هب ثائراً
أخا ثورة حتى تجاب مطالبه

* *

فإن كان يا ابن النيل رمحك ظامناً
فأورده محتلاً توالت نوائبه
ولا تلق بالاً للوعود ، فإنه
كعهدك فيه – مخلف الوعد كاذبه
ولن يترك الشطرين عن طيب خاطر
لأهلهما أو يترك الضرع حالبه

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جول جمال

[الضابط السورى الذى شارك
فى معركة بور سعيد ١٩٥٦]

كان الخريف يظل أحلام الرياض النائمة
والبحر يدرك أن أحداثا ستجرى حاسمه
وتحرك الأسطول يزهو بالحشود الآثمة
بالعار ، عار المعتدين ، وبالحقود العارمة
وتصفق الآمال فى صدر الجموع القادمه
النصر والفتح المبين وأمنيات حالمه
وغرورها المجنون يحدوها سترجع سالمه
للرقص ، عند " السين " و " التاميز " كانت واهمة

* *

فالشط : ما وجدوه مصطافاً جميلا ، كان جمرا
وتراجع الليل الذى نسجوه يوما كان فجرا
والتاج لم يخلد كما صنعوه بل صغناه نسرا
والشعب لم يركع كما عهدوه ، بل وجدوه حرا
إنى هنا فى شاطئ البارود قد أعددت قبرا
لى ، أو لهم ،لا بد من صبر يثير الهول مرا

لن يأخذوا مصراً ، فإنى قد صنعت اليوم مصرا
وعلى الرمال ، وبين إرعاد المنايا المطبقة
كان الفتى يرمى الفضاء بنظرة متألقه
فى عينه عزم ، وفى جنبيه نار محنقه
والجبهة السمراء تعكس روحه المتدفقه
هو مبرم فى نفسه أمراً ، وهيأ زورقه
حتى إذا لمح الفريسة من بعيد أطلقه
فاشتد إعصاراً تشيعه العيون المشفقه
وطواه موج البحر حين طوى الحشود المغرقه

* *

وتزاحم المتسائلون هناك عن هذا الشهيد
ذى السحنة العربية السمراء والبأس العنيد
أتراه من أهل الثغور ، أكان من ريف الصعيد
وجرى الجواب على الشفاه ، يهز أسماع الخلود
قد جاء من بلد وراء البيد ، أقبل من بعيد
ليضيف عدة أسطر بيض إلى الأمل الوليد
فيقول جارى : هل سمعت لقد بعثنا من جديد
قد كان يحمى اللاذقية ههنا فى بور سعيد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يوم الجلاء

[فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية الجلاء
عن مصر وتحطم القيد الذى ظل يغل الأعناق
أكثر من سبعين عاما]

إذاً آن لابن النيل أن يـدرك النصرا
وآن لهذا الليـل أن يظهـر الفجـرا

فيا مصر هذى ساعة المجد قد دنت
وياوادى الأحـرار عـدت لنـا حرا

مضت دون هذا اليوم سبعون حجـة
بها طال الاستبداد واستنفـدالصبـرا

وإن أنس لا أنس الهوان الذى انقضى
ولا الذل فى طول البلاد ولا الذعـرا

وكنت إذا ماذاقـت الـذل دولـة
على يد محتل ذكرت بهـا مصـرا

فيايوم إجلاء العـدو عـن الحمـى
ظننت وحق الله موعـدك الحشـرا

سلام على تلك الدماء التـى مضت
تراق لكـى نلقـاك قانيـة حمـرا

سلام على ذاك الشباب الذى انطوى
وآثر دون المجد أن يسكـن القبـرا

بذلنا لك الأرواح عن طيب خاطر
وجزنا إليك الصعب والسهل والوعرا

ومرت بنا الأعوام والنيل حانـق
يعانى من الضيق الذى مـلأ الصدرا

إذا ما رأينا فوقه وجه غاصـب
نروح وقد ضمـت أضالعنا جمـرا

شباب وأشيـاخ أرادوك قبلنـا
وفى نيل الاستقلال قد قطعو ا العمرا

فكم من زعيم قابل النفى هازئـاً
وسار إليـه رافعا رأسـه فخـرا

وثورات أبطال أثـاروا لهيبهـا
فأخمده من أضمروا الحقـد والغدرا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فما نام هذا الشعب عن نيل مأرب
ولكنه عدوان مـن سكـن القصـرا

فحيوا الألى باعوا الكنانة أنفساً
وفوق قبور الخالدين ضعوا الزهـرا

وإن يدرك الوادى الجلاء فجددوا
مدى الدهر فى عيد الجلاء لهم ذكرى

فهذا بناء شـاد كـل مواطـن
ليصبـح كالطـود الأشـم به قـدرا

* * *

عيد الثورة

[قصيدة لم تكتمل ٠ يبدو أنها آخر ما نظـم الشاعر وجدت على مكتبة يوم استشهد ومدادها لم يكد يجف كان يريد أن يحيى بها الثورة فى عيدها السابـع ، ٢٣يوليه ١٩٥٩]

أعيدى قصة النصـر وموعدنا مـع الفجـر
وزحف النور من غسق الدجى فى ساعة الصفـر
فتلك حكاية يـا أمتـى أحلـى مـن العمـر

* *

٠٠ وكان بهامش التاريخ شعـب يائس ضائـع
يباع ويشترى والحقـد مطـوى بـه جائـع !
وقد يعدو على الشارى ولا يقوى على البائـع

* *

وطال بنا الحنين إلى انبـلاج الفجـر يـا بلـدى
ويختنق الدعاء : متى سأفرش بالضياء غـدى
مضوا يستعبدون أبى ولن يستعبـدوا ولـدى

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجزارين قد شرعوا مـدى مجنـونة الذبـح
تعالت صيحة الأحرار فـي إشراقـة الصبـح
جنود البعث قد جاءوا بنصـر الله والفتـح

* *

وعاد النور فى الأرجاء يغسـل جبهـة الساجـد
فيبنى صرح عزتـه قوى الروح والساعـد
ويشهد تحت ظل البشر موكـب مجـده العـائـد
ويغمر صفحة الأيام حـب الشعـب للقـائـد

* *

لقد عشنا وكان النصـر فـى أذهاننـا فكـرة

...

...

أضواء من السماء

ليل ، وليـس هنـاك غيـر شعـاع
لـم ينعـه للمدلجيـن الناعـى
مـا زال وضـاء السنـا فـى أمـة
ضل القطيع بها ، وضل الراعـى
سالت على الصحراء من عهد مضى
أضواؤه ومشت إلـى الأصقـاع
يا للمنار السمح ، قد غشى الدجـى
متكامـل البنيـان فـى إبـداع
دين بنى الإنسـان ، كـرم شأنـه
وأقـام ركـن هنائـه المتداعـى
وإذا تقنعـت الحقائـق كلهـا
بـرزت حقيقتـه بغيـر قنـاع

* *

فى آسيـا وعلـى جديـب رمالهـا
شهـد الـورى ميـلاد شعـب واع
نبـت الهـدى والحق فـى جنباتهـا
وجرىالضياء على لسان الداعـى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكما يسيل الفجر سال النور من
هدى السماء على ربا وبقاع
ومشت مواكبه وفى أيمانها
آى تبلغها إلى الأسماع
من كل صنديد تضم ضلوعه
إحساس قديس وقلب شجاع
وإذا الضلال طغى على صوت الهدى
فالسيف بعض وسائل الإقناع

* *

وكسا الضياء الأرض فى إفريقيا
ما بين غابات بها .. ومراع
بسطت ذراعيها لتحتضن السنا
طبا يخلصها من الأوجاع
عرفته فتحا للبناء وللعلا
قد جاء لا لمجرد الإخضاع
وتنسمت ريح المنى فى زحفه
من بعد حالك هونها اللذاع
فإذا الوجوه السمر من أبنائها
تطوى خضم البحر فوق شراع

وتدك خلف الماء عرش محكم
فى الناس أو ملك هناك مطاع

* *

يامنهلا عذباً ، وكم من ظامئ
والماء يجرى منه قيد ذراع
أى الشرائع قد حملت لعالم
متأرجح القانون والأوضاع
إن كان همهم السلام وأمره
وسعى إلى ناديه منهم ساع
فليأخذوا مما لديك إن ابتغوا
إقرار سلم فى الحياة مضاع
أو قام منهم بالإخاء مطالب
فحديثه للناس محض خداع
ليس الإخاء شريعة تملى ولا
عهداً يدبج نصه يراع
لكنه - وكما رسمت خطوطه -
شئ نحس صداه فى الأضلاع
وعلاقة يسمو بها الإنسان لا
كعلاقة السادات والأتباع

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا هـو الإســلام لا شــرق ولا
غـرب يعرضنـا لكــل صــراع
واللــه ما اختلفـوا لمصلحة الورى
لكنــه خــلف علــى الأطمــاع
فــإذا رأوا حقــاً ضعافاً أهلــه
جــاءوه فانتهبــوه بالإجمــاع
والضعــف لا يحيــا بأيــة أمــة
قـد حصنــت مــن دينهـا بقـلاع

* * *

الفزع الأكبر

[ألقيت فى ندوة للشباب المسلمين عقب محاضرة للدكتورة بنت الشاطئ فى تفسير سورة الزلزلة ، مساء ٩ إبريل ١٩٥٨]

تلفــت يشهــد زلــزالهــا إذ الهول مزق أوصالهــا
وقد راعه أن تعود الجبــال كثيبــا مهيــلا لما نالهــا
وأن يبصر النار ملء البحار تدمــدم تنشــر أهوالهــا
وأن تتهادى نجوم السماء وأن تخــرج الأرض أثقالهــا
هو الرعب قد ماج بين القلوب مريرا يضاعف أوجالها
ويذهل كل أب عن بنيه فــلا تذكــر الأم أطفــالهــا !!

* *

وفى موكب أذهل العالمين وقــرب للنفــس آجــالهــا
مضى ذلك الجامد المستــريب يــردد فى دهشة مالهــا
هل انفجرت ذرة فى الفضاء فأدنت مــن الناس قتــالها
وإنــى لأمــلك أســرارها وحيدا وأحكــم أقفالهــا
أنا صانع النار فيها الدمــار ولا يملك الغيــر أمثالها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ودانت لى الأرض بالكائنات عليها وسخرت أجبالها
وتلك الطبيعة طوع البنان أنال إذا شئت إذلالها
وأطلقت أقمارى الصاعدات فمن ذا يحاول إنزالها ؟

* *

رويدك يا من طواه الغرور وزين للنفس أعمالها
ستعرف أنك هش ضعيف كسته الأراجيف سربالها
وأنك قد عشت هذى الحياة تقود إلى الغى ضلالها
وأنك خلف أكاذيبها مشيت تساير آمالها
تنكبت فيها سواء السبيل وما زلت تسلك أدغالها
ففر إن اسطعت إن الهلاك تطاير حولك واغتالها
فخلف مثار الردى قوة تعد لك اليوم أنكالها
وإن كنت تنكر آياتها ويأبى جحودك إجلالها
فلست بمعجز رب القضاء إذا ما أراد وأوحى لها
متى شاء بعثر من فى القبور وزلزلت الأرض زلزالها

* * *

شباب الإسلام

[ألقاها الشاعر فى ندوة أقيمت بجمعية الشبان المسلمين
مساء ٩ فبراير سنة ١٩٥٩ لمناقشة انحراف الشباب]

ملكنا هذه الدنيا قرونا
وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء
فما نسى الزمان ولانسينا
حملناها سيوفاً لامعات
غداة الروع تأبى أن تلينا
إذا خرجت من الأغماد يوماً
رأيت الهول والفتح المبينا
وكنا حين يرمينا أناس
نؤدبهم أباة قادرينا
وكنا حين يأخذنا ولى
بطغيان ندوس له الجبينا
تفيض قلوبنا بالهدى بأساً
فما نغضى عن الظلم الجفونا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وما فتئ الزمان يدور حتى
مضى بالمجد قوم آخرونا

وأصبح لايرى فى الركب قومى
وقد عاشوا أئمته سنينا

وآلمنى وآلم كل حر
سؤال الدهر : أين المسلمونا ؟

* *

ترى هل يرجع الماضى ؟ فإنى
أذوب لذلك الماضى حنينا

بنينا حقبة فى الأرض ملكاً
يدعمه شباب طامحونا

شباب ذللوا سبل المعالى
وما عرفوا سوى الإسلام دينا

تعهدهم فأنبتهم نباتا
كريما طاب فى الدنيا غصونا

هم وردوا الحياض مباركات
فسالت عندهم ماء معينا

إذا شهدوا الوغى كانوا كماة
يدكون المعاقل والحصونا

وإن جن المساء فلا تراهم
من الإشفاق إلا ساجدينا

شباب لم تحطمه الليالى
ولم يسلم إلى الخصم العرينا

ولم تشهدهم الأقداح يوماً
وقد ملأوا نواديهم مجونا

وما عرفوا الأغانى مائعات
ولكن العلا صيغت لحونا

وقد دانوا بأعظمهم نضالاً
وعلماً ، لا بأجرئهم عيونا !

فيتحدون أخلاقاً عذاباً
ويأتلفون مجتمعاً رزينا

فما عرف الخلاعة فى بنات
ولا عرف التخنث فى بنينا

ولم يتشدقوا بقشور علم
ولم يتقلبوا فى الملحدينا

ولم يتبجحوا فى كل أمر
خطير كى يقال مثقفونا

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كذلك أخرج الإسلام قومي
شباباً مخلصاً حراً أمينا

وعلمه الكرامة كيف تبني
فيأبى أن يقيد أو يهونا

دعوني من أمان كاذبات
فلم أجد المنى إلا ظنونا

وهاتوا لي من الإيمان نوراً
وقووا بين جنبي اليقينا

أمد يدي فانتزع الرواسي
وأبن المجد مؤتلقاً مكينا

* * *

دين وعروبة

أيها السائر بين الغيهب
عاثر الخطو جلي التعب

ضاربا في لجة غامضة
من محيط العالم المضطرب

لا تقف حيران مشبوب الأسى
هكذا نهبا لشتى الريب

ذلك الدرب سلكناه معا
من قديم لست بالمغترب

أنت في الدنيا نماء هائل
مشرق الماضي عريق النسب

أنت لا تعرف من أنت ولم
تقرأ التاريخ يا ابن العرب

* *

عد لتاريخك وانشد قبسا
من سنا بدد ليل الحقب

تلمس العلة تشكو بأسها
ثم لا تدري لها من سبب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنا أنبيك عن الداء وعن
طبه المهجور ملء الكتب

يا ترى ، عندك ألقى خبرا
عن أناس بصعيد مجدب

من رعاة الشاء عاشوا زمنا
لم يسيروا للعلا في موكب

أدركوا الذلة ذاقوا مرها
عرفوا بطش القوى الأجنبى

ثم في يوم أبى مشرق
جاءهم بالمجد والنور نبى

فسما في ظل ما جاء به
من أجابوه ومن لم يجب

* *

كم رقاب فكها من صفد
كم أسى قد حطه عن منكب

ومشى في ساحة المجد بهم
سادة تحت ظلال القضب

عرف العالم عنهم نبأ
أفعمت آياته بالعجب

لم يزل في خاطرى أن الذى
قوض الرومان بالرمح أبى

كيف لا أذكر أجدادا لهم
فتكة الإعصار عند الغضب

وجواداً قبلت حافره
لجة البحر تجاه المغرب

وملوك الصين تهدى تربها
لفتاناً في صحاف الذهب

أى روح من هداها انبجست
هذه الأضواء مثل الشهب

أى إشراقة نفس رفعت
هذه الأمجاد فوق الكوكب

إنها قصة بعث كتبت
بحروف من سنا، من لهب

نهضة بالدين شادوا صرحها
ثابت الركن قوى الطنب

* *

أعرفت الآن معنى أن ترى
حاقداً يلبس جلد الثعلب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عرف الإسلام ، ما غايته
ما الذى يحمل للمغتصب
فمشى بالكأس مسموماً وكم
يشهد الليل دبيب العقرب
همه أن يصبح العرب بلا
عاصم كالدين عند النوب
همه المصباح ، لو أطفأه
أهلك السارين ليل العطب
واختلفنا فى الورى ألسنة
يجهل المصرى لفظ الحلبى
وافترقنا بينهم أفئدة
جمعت حول التراث الطيب
وابتعدنا كلنا عن هدف
بات يدنيه اتحاد المشرب
أمة العرب بخير طالما
هى فى إسلامها لم تنكب

* * *

شرق وغرب

أيقظ الشرق وهز العربا
فبريق المجد فى الشرق خبا
عل من عاشوا على الماضى الذى
بذ فى نيل الفخار المغربا
يستعيدون سنا ملك لهم
قد توانوا عنه حتى ذهبا

* *

قف على بغداد ، واندب من بها
رفعوا للشرق ذكراً طيبا
وابك فى الأيام من قال وقد
أبصر الغيم تهادى صيبا
سر يمينا أو يساراً إن لى
خُرج هذا الماء أنّى سكبا
ودمشق الأمس سلها عن فتى
ركب الأمواج فيما ركبا
أموى من بنيها باسل
ذاك من شق العباب اللجبا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومضى للشاطئ الغربي ما
قدر المقدام أن ينقلبا
تلك أسد شيدت أمجادها
بقناة أعملوها وظبا
سبقوا الناس بما قد أبدعوا
وأناروا للأنام الحقبا
وورثنا بعدهم ملكاً سما
عزة ، علماً ، سناء ، أدبا
فأضعنا كل ما قد جمعوا
وهدمنا ما بنوا .. واحربا
لاتقولوا : نحن عرب إننا
لهمُ لا نستحق النسبا

* *

كان هذا الشرق في الدهر فتى
حين كان الغرب طفلاً ما حبا
وقديما كان خصبا مثمرا
وأراه اليوم أمسى مجدبا
عادت الأذناب رأساً للورى
وغدا الرأس لديهم ذنبا

أين نحن اليوم من ركب الألى
وطدوا للعلم هذى الطنبا
سخروا الذرة بل قد أوشكوا
أن ينالوا في السماء الكوكبا
بلغوا للبحر قاعاً وانثنوا
في فخار يركبون السحبا
وأضاء الكون ما جاؤوا به
من فنون قد أثارت عجبا
أحرزوا قصب السبق وما
بيننا من يحرزون القصبا
سار من سار إلى العلياء لم
يأخذ اللهو إليها مركبا
ومضى في الغرب أبطال إلى
مجدهم لا يعرفون اللعبا
فلنا الأمس . وهذا يومهم
ما أرى الأيام إلا قلبا

* *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دول الغـــرب إلـــى غاياتهـــا
أسرعت حتـى تنـال المأربـــا
كـل شعـب راح يسعـى جاهـداً
كـى يرى فى الأرض ليثاً أغلبـا
صنـــع القـــوة حتـــى أنـــه
أنبـــت الأرض عتـــادا وشبـــا
إنمـا الـــدولات فـــى أحوالهـــا
حمـــل عـــان وذئـــب وثبـــا
وأرى الشـــرق سيبـــدو دائماً
مستـذلا فى الورى أو يرهبـــا
* *
ها هـو العالـم فـى إعصـاره
كهشيـــم كـــاد أن يلتهبـــا
جـره نحـــو الـــردى قادتـــه
أتراهـــم يعشقـــون النوبـــا
ويحهـم مـن قـادة إنـــى أرى
شـــرك المـــوت بهم قد نصبا
قـادة فـى نيـل أطمـاع لهـم
نشـروا الرعـب بـه والرهبـا

شامهـم يـوم الـردى فاندفعـوا
فـى جنـون يرهبـون القضبـا
وكأنـى بالنسـور انطلقـت
فـى متـون الجـو ترمى العطبا
وبـدت للحـوت فـى لجتـه
سفـن سـدت عليـه المسربـا
إن تكن فـى الغرب شنت غـارة
سيكون الشـرق فيهـا الحطبـا
وإذا حـرب بـدت أخطارهـا
فإلينـا سهمهـا قـد صوبـا
أترانـا قـد أخذنـا حذرنـا
وركبنـا للنضـال الدأبـا
لا أرى فيهـم صناديـد الوغـى
مـن أراهـم يحسنون الخطبـا
* *
ما لهـذا الغـرب تـواق إلـى
أن يرانـا عالمـاً مكتئبـا
قد مضى نحو الردى لـم يكفـه
من وراء الحـرب ما قـد خربـا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سائـل الأنقـاض من ذا دكهـا
وأحال الصـرح قفراً مرعبـا ؟
مـن أخـاف الطفل فـى رقدتـه
فبكـى فـى مهـده واضطربـا ؟
مـن بغـى بالنار ٠٠ من هذا الذى
أفزعت أهوالـه قلـب الظبـا ؟
من مضى فى الجو يسرى ركبـه
يمطـر الأرض بليـل شهبـا ؟
رب طفل تحـت طيـات الدجـى
فقـد الأم رضيعـاً والأبـا
وغـلام قـد مضـى عائلـه
فـى لظاهـا كـاد يقضى سغبـا
ونسـاء والهـات فـى أسـى
هائمـات يلتمسـن المهربـا
فكفـى العالـم ما قـد ذاقـه
دمـه مـن عرقـه قـد نضبـا
مـن لهـذا الكـون بالعقل الـذى
إن دعا الداعى إلى الحرب أبـى
خيـم الهـول علـى أرجائـه
فتـراءى بجبيـن قطبـا

خدعـوه مـن رعـوا سلمـا لـه
فـرأى فـى السلـم برقـاً خلبـا
غـرروا فـى مجلـس الأمـن به
وبـدا الحـق لديهـم كذبـا
ليتهـم فـى الخيـر يسعـون إذاً
لغـدا فـى الخيـر سعيـاً مخصبـا
* *
طـرق المجـد تـراءت جمـة
سـارت الـدولات فيهـا خببـا
وأرى اليـوم علـى مفرقهـا
سـادة كانـوا كرامـاً نجبـا
ضيعـوا الأمـس ، وهـذا غدهـم
مجـده بيـن الـورى مـا طلبـا
قـد غـدا العـرب إذا مـا ضُربـوا
لايهبـون إلـى مـن ضَرَبـا
وإذا سيمـوا بيـوم خطـة
فهـو أمـر لا يثيـر الغضبـا
ورأيـت القـوم قـد صاروا إلى
ذلـة مـدت عليهـم غيهبـا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أصبحـوا لقمـة أعـداء لهـم
كدجاجـات تبيـض الذهبـا
ففلسطيـن أضيعـت وغـدت
ينـدب اليـوم بهـا مـن ندبا
جاءهـا كـل يهـودى بـدا
هائمـاً بيـن الـورى مغتربـا
فأقامـوا شوكـة فـى أرضهـا
ذلك الـرق بهـا قـد نكبـا
ليس مـن نـال الأمانـى مثبها
مـن علـى أمـر لـه قد غلبا
لا رعـى الرحمـن يوماً من بها
فى اندحار العـرب كانوا السببا

* *

واستـذل القـوم فـى مراكـش
وبهـم ظفـر العـوادى نشبـا
ضـرب البـؤس قبابـا فوقهـم
ورماهـم مـن رمـى مغتصبـا
وشعوب العرب فى صمت إلـى
أن ظننـا مجدهـم ما سلبـا

وكـأن الأمـر لا يعنيهـم
أتـرى الـذل إليهـم حببـا ؟

* *

يابنـى الإسـلام هبـوا وانهضـوا
لا تنامـوا ، بلـغ السيـل الزبـى
واذكـروا عهـداً سمـت أمجادكـم
فيـه حينـا إذا سموتـم رتبـا
رب سيـف صـارم ذى نبـوة
وجـواد سابـق يومـاً كبـا

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جزار الغرب

سنا أمل ملء الربا والمعالم
وأشلاء ليل غاله الصبح قاتم
تأملت فى هذى الحياة فلم أجد
سوى ذل مظلوم وطغيان ظالم
وآمال قلب ينشد الخير تلتقى
إذا أشرقت يوما بأطماع جارم
وذى قوة قد راح يسطو بمخلب
وناب على شعب وديع مسالم
جرئ على من يستكين بجنده
جبان لدى القرم القوى المقاوم
حياة من الغاب استعارت شريعة
فلا يلتقى فيها الضعيف براحم
ومن ضم فى جنبيه قلب نعامة
فلا ينتظر إلا وثوب الضراغم

* *

ففى الشرق لحن البعث يهدر ثائرا
فيودى بكابوس من الضعف جاثم

وينتفض العملاق ، ينضو قيوده
ويمحو دجى ذل على الناس قائم
ويجلو من الماضى جوانب لوحة
فتشرق من خلف الثرى المتراكم
وما هو بالباغى على الحق موريا
زناد أسى أوناشراً للمظالم
وليس بمن يسعى إلى بعث فتنة
تذيب الورى فى شرها المتفاقم
ولكنه يبغى الحياة تزاحما
ولا يرتضى فى حقه من مساوم

* *

وفى الغرب جزار سعى غرب نصله
بأسود قتال من الحقد فاحم
وعربد فى الآفاق ، ليس بمنته
عن البغى، أو مصغ إلى صوت لائم
يعتق خمراً من دماء أباحها
ويصنع كأساً من عظام الجماجم
يداه : يد تدنى إلى الكون حتفه
فتشحذ أمضى شفرة للجرائم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأخرى تـنيل المعوزيـن معونـة
تشاب إذا سيقـت بسم الأراقـم
يؤرقه أن يبنـى الشـرق عـزه
فيهـرع مذعـوراً بمعـول هادم
ويسكب فى الأسماع لفظاً منمقـاً
لنسبح فى حلم مـن الأمن واهـم
ونصحو على قصف المدافع ناعياً
إلينا مواثيـق العـدو المهـاجـم

* *

هو الشر يا ابن الشرق ما فيه خسة
لمنهزم ، أو فيـه فخـر لهـازم
ولكن سوط الظلـم ينضـح قسوة
على جسد المصفـود فى يـد آثم
تراك عيون الجانبيـن فـريسـة
فلست وإن شئت الحياد بسـالـم
فإن سلبوك الحق فى المجد فاحتكم
إلى مدفع عات ، إلى حد صـارم
متى تنتظر من دولة أو جمـاعـة
مؤازرة ، تمسك بـأوهـام حالم

فكلهم فى الخزى غرب ، وتحتهم
يعالج محكـوم سـلاسـل حاكم
ذئاب إذا أبدوا خـلافـا رأيتهـم
قد اختلفوا حول اقتسـام الغنائـم
وإن أطفئوا نارا تشـب فمـاؤهـم
دموع الثكالى فى الأسـى المتلاطم
وإن لوحوا بالسلم للناس فـارتقـب
جنازة شعـب، أو قيـام المـآتـم

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رسالة فى ليلة التنفيذ

[على لسان شاب ثائر على الظلم والطغيان ، حكم عليه بالإعدام ، فكتب رسالة إلى والده فى ليلة تنفيذ الحكم عليه ..]

أبتـــاه ، مـــاذا قـــد يخـــط بنانـــى
والحبـــل والجـــلاد منتظـــران
هـــذا الكتـــاب إليك من زانزانـــة
مقـــرورة صخريـــة الجـــدران
لـــم تبـــق إلا ليلـــة أحيـــا بهـــا
وأحـــس أن ظلامهـــا أكفانـــى
ستمـــر يا أبتـــاه ، لست أشك فـى
هـــذا ، وتحمـــل بعدها جثمانـــى

* *

الليـــل مـــن حولـــى هـــدوء قاتـــل
والذكريـــات تمـــور فـــى وجدانـــى
ويهدنـــى ألمـــى ، فأنشـــد راحتـــى
فـــى بضـــع آيـــات مـــن القـــرآن

والنفـــس بيـــن جوانحـــى شفافـــة
دب الخشـــوع بهـــا فهـــز كيانـــى
قـــد عشـــت أومـــن بالإلـــه ولـــم أذق
إلا أخيـــراً لـــذة الإيمـــان

* *

شكـــراً لهـــم ، أنـــا لا أريـــد طعامهـــم
فليرفعـــوه ، فلســـت بالجوعـــان
هـــذا الطعـــام المـــر ما صنعتـــه لـــى
أمـــى ، ولا وضعـــوه فـــوق خـــوان
كـــلا ، ولـــم يشهـــده يا أبتـــى معـــى
أخـــوان لـــى جـــاءاه يستبقـــان
مـــدوا إلـــى بـــه يداً مصبوغـــة
بدمـــى ، وهـــذى غايـــة الإحســـان

* *

والصمـــت يقطعـــه رنيـــن سلاســـل
عبثـــت بهـــن أصابـــع السجـــان
ما بيـــن آونـــة تمـــر .. وأختهـــا
يرنـــو إلـــى بمقلتـــى شيطـــان
مـــن كـــوة بالبـــاب يرقـــب صيـــده
ويعـــود فـــى أمـــن إلـــى الـــدوران

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنـا لا أحـس بـأى حقـد نحـوه
مـاذا جنـى ؟ فتمسـه أضغانـى

هو طيـب الأخـلاق مثلك يا أبـى
لم يبـد فـى ظمـأ إلـى العدوان

لكنـه إن نـام عنـى لحظـة
ذاق العيـال مـرارة الحرمـان

فلربمـا وهـو المـروع سحنـة
لـو كـان مثلـى شاعـراً لرثانـى

أو عاد ، من يدرى ؟ ، إلى أولاده
يومـاً وذكـر صورتـى لبكانـى

* *

وعلـى الجـدار الصلـب نافذة بها
معنـى الحيـاة غليظـة القضبـان

قـد طالمـا شارفتهـا متأمـلا
فـىّ السائرين على الأسى اليقظان

فـارى وجوماً كالضباب مصـوراً
ما فـى قلـوب النـاس مـن غليـان

نفس الشعـور لـدى الجميع وإن همُ
كتمـوا وكـان المـوت فـى إعـلان

* *

ويـدور همس فى الجوانح ما الذى
بالثـورة الحمقـاء قـد أغرانـى ؟

أو لـم يكـن خيـراً لنفسـى أن أُرى
مثـل الجميـع أسيـر قد إذعان ؟

ما ضرنـى لو قـد سكت ، وكلمـا
غلب الأسى بالغـت فـى الكتمـان

هـذا دمـى سيسيل ، يجرى مطفئاً
ما ثـار فـى جنبى مـن نيـران

وفـؤادى المـوار فـى نبضاتـه
سيكـف فـى غـده عـن الخفقـان

والظلـم بـاق ، لن يحطـم قيـده
موتـى ، ولـن يـودى بـه قربانـى

ويسيـر ركـب البغى ليس يضيره
شـاة إذا اجتثـت مـن القطعـان

* *

هـذا حديث النفس حين تشف عـن
بشريتـى ٠٠ وتمـور بعـد ثـوان

وتقـول لـى : إن الحيـاة لغايـة
أسمـى مـن التصفيـق للطغيـان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنفاسك الحرى وإن هى أخمدت
ستظل تغمر أفقهم بدخان

وقروح جسمك وهو تحت سياطهم
قسمات صبح يتقيه الجانى

دمع السجين هناك فى أغلاله
ودم الشهيد هنا سيلتقيان

حتى إذا ما أفعمت بهما الربا
لم يبق غير تمرد الفيضان

ومن العواصف ما يكون هبوبها
بعد الهدوء وراحة الربان

إن احتدام النار فى جوف الثرى
أمر يثير حفيظه البركان

وتتابع القطرات ينزل بعده
سيل يليه تدفق الطوفان

فيموج ، يقتلع الطغاة مزمجراً
أقوى من الجبروت والسلطان

* *

أنا لست أدرى ، هل ستذكر قصتى
أم سوف يعروها دجى النسيان ؟

أو أننى ساكون فى تاريخنا
متآمراً أم هادم الأوثان ؟

كل الذى أدريه أن تجرعى
كأس المذله ليس فى إمكانى

لو لم أكن فى ثورتى متطلباً
غير الضياء لأمتى لكفانى

أهوى الحياة كريمة لا قيد ، لا
إرهاب ، لا استخفاف بالإنسان

فإذا سقطت سقطت أحمل عزتى
يغلى دم الأحرار فى شريانى

* *

أبتاه إن طلع الصباح على الدنى
وأضاء نور الشمس كل مكان

واستقبل العصفور بين غصونه
يوماً جديداً مشرق الألوان

وسمعت أنغام التفاؤل ثرة
تجرى على فم بائع الألبان

وأتى يدق - كما تعود - بابنا
سيدق باب السجن جلادان !

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأكـون بعـد هنيهـة متأرجحـاً
فـى الحبـل مشـدوداً إلى العيـدان
ليكـن عزاؤك أن هـذا الحبـل مـا
صنعتـه فـى هـذى الربـوع يدان
نسجـوه فـى بلـد يشـع حضـارة
وتضـاء منـه مشاعـل العرفـان
أو هكـذا زعمـوا ، وجيء به إلـى
بلـدى الجريـح على يد الأعـوان

* *

أنا لا أريـدك أن تعـيش محطمـاً
فـى زحمـة الآلام والأشجـان
إن ابنـك المصفـود فـى أغلالـه
قـد سيق نحـو الموت غير مـدان
فاذكـر حكايـات بأيـام الصبـا
قد قلتها لـى عن هـوى الأوطـان

* *

وإذا سمعـت نشيج أمى فـى الدجى
تبكـى شبابـاً ضـاع فـى الريعـان
وتكتـم الحسـرات فـى أعماقهـا
ألماً تـواريه عـن الجيـران

فاطلب إليها الصفح عنى ، إننـى
لا ابتغـى منهـا سـوى الغفـران
ما زال فـى سمعـى رنين حديثها
ومقالهـا فـى رحمـة وحنـان
أبنـى : إنـى قـد غـدوت عليلة
لم يبـق لـى جلد علـى الأحـزان
فـأذق فـؤادى فرحـة بالبحث عن
بنت الحـلال ودعـك من عصيانى
كانـت لهـا أمينـة ٠٠ ريانـة
ياحسـن آمـال لهـا وأمـان !
غزلـت خيوط السعد مخضلا ولم
يكـن انتقاض الغـزل فى الحسبان
والآن لا أدرى بـأى جوانـح
ستبيـت بعـدى أم بـأى جنـان

* *

هذا الـذى سطرتـه لـك يا أبـى
بعض الذى يجرى بفكـر عـان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكـن إذا انتصـر الضيـاء ومزقت
بيـد الجمـوع شريعـة القرصـان

فلسـوف يذكرنـي ويكبـر همتـي
مـن كـان فـي بلدي حليف هـوان

وإلـى لقـاء تحـت ظـل عدالـة
قدسيـة الأحكـام والميـزان

* * *

هاشم الرفاعي
١٩٣٥ - ١٩٥٩

المراجـع

- ديوان هاشم الرفاعي :

تحقيق ودراسة محمد كامل حته

وزارة التربية والتعليم، القاهرة ١٩٦٠ ٠

(أصح طبعة مضبوطة حتى الآن ٠ وقد اختارها المحقق من بين أعمال الشاعر ، مسجلاً فيها ما وجد مستواه الفنى متمشيا مع مكانته)

- ديوان هاشم الرفاعي :

المجموعة الكاملة ٠ جمع وتحقيق محمد حسن بريغش - مكتبة المنار ٠ الأردن ١٩٨٥ ٠

(يوجد به الكثير من الأخطاء التى تسىء للأبيات من حيث الوزن ٠ وقد جمع فيها المحقق كل ماعثر عليه من انتاج الشاعر، ومنها : القصائد العشر (ص٣٩٣-٤١٨) التى أشك فى نسبتها إليه ، بناء على أساسين :الأول أسلوب الصياغة الشعرية ، والثانى معارضة القصائد للتوجه العام للشاعر ، الأمر الذى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يؤدى- إذا قبلناها - إلى الحكم على هاشم الرفاعى بازدواج الشخصية !)

- الشاعر الشهيد هاشم الرفاعى :

محمد كامل حته - دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(كتيب جيد للتعريف بالشاعر واستعراض لنماذج من شعره . يقع فى ١١١ صفحة من القطع الصغير . وقد ألحق به المؤلف (ص٧٥-١١١) بعض كلمات الرثاء والقصائد ، التى ألقيت فى حفل تأبينه بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، يوم ٢٧ اكتوبر ١٩٥٩ للسادة كمال الدين حسين ، يوسف السباعى ، د.عبد الحكيم بلبع ، والشعراء شفيق جبرى ، طلعة الرفاعى ، على الجندى ، محمود عماد ، ، د. أحمد هيكل ، صالح جودت ، عبد الله شمس الدين ، وغيرهم)

- بعض الرسائل الجامعية :

وضعت فى دراسة شعر هاشم الرفاعى ، وبعضها الآخر مازال يجرى . والمأمول أن تطبع هذه الرسائل لمزيد من إلقاء الضوء على الشاعر ، وفنه الشعرى الأصيل .

الفهـرس

مدخل	١٣
افتتاحية	٧
لكى نرسم صورة لشاعر	٢١
شاعرية هاشم الرفاعى	٤١
الموهبة الشعرية	٤١
التكنيك الشعرى	٤٣
الرسالة الشعرية	٤٥
المختارات	
أيام الطفولة	٦٧
ريف مصر	٧٠
الأزهر المكافح	٧٨
دار العلوم تشكو	٨٣
فى ذكرى الرافعى	٨٦
حفنى ناصف	٩٠
كبرياء الحب	٩٤
رماد الفضيلة	٩٥
يا أيها النمل	٩٧
خواطـــر	١٠١
بطولة حب	١٠٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بنت مصر ١٠٧

فى عيد الوحدة ١٠٩

وصية لاجئ ١١٢

أغنية أم ١١٦

الجزائر الثائرة ١٢١

رسالة من افريقية ١٢٦

دماء فى السودان ١٣١

جول جمال ١٣٦

يوم الجلاء ١٣٨

عيد الثورة ١٤١

أضواء من السماء ١٤٣

الفزع الأكبر ١٤٧

شباب الإسلام ١٤٩

دين وعروبة ١٥٣

شرق وغرب ١٥٧

جزار الغرب ١٦٦

رسالة فى ليلة التنفيذ ١٧٠

المراجـــع ١٧٩

رقم الإيداع

٩٨/١٦٨٠٧

I.S.B.N . 977 - 241 - 262 - 4

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ٥٨١٧٥٥٠